www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أمين، محمود.

نائب القدر: رواية/ محمود أمين.ـ القاهرة:

بصمة للنشر والتوزيع، 2017.

تصحيح لغوي: محمد عبدالغفار

212 ص؛ 20 سم

تدمك:5 - 20 - 6558- 977 - 978

رقم الإيداع: 28563 / 2017

©

بصمة للنشر والتوزيع

تليفون:01282211053 - 01158699902 - 01003734421

E-mail:darbasmanashr@Gmail.com

https://www.dar-basma.com

جميع الحقوق محفوظة لدار بصمة، ولا يجوز بأي صورة من الصور، التوصيل المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي مما ورد في هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميًا أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الدار.

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

نائب القدر

محاولة لفك شفرة حالة توحد

مكتبتك
Mktbtk.uk

محمود أمين

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

جريمة قتل

عندما ازدحمت العاصمة، اضطر الناس للرضا بالعيش على أطرافها البعيدة، وعلى أحد تلك الأطراف كانت تلك المدينة الجديدة التي بُني فيها القليل من العمائر وبقي المعظم تحت الإنشاء، وعلى الرغم من عدم توافر جميع الخدمات فإن العمائر القليلة التي انتهت الشركة من إنشائها كان فيها من رضي بالعيش بها، والطرق لم تمهَّد بعد، وصوت آلات الحفر ما زال هو الصوت الوحيد المميز للمكان، وتراب الحفر هو السمة المميزة للأجواء، لكنهم رضوا لأن هذا هو المتاح، ربما لا يصبرون على العيش بهذه الطريقة لأنهم يحبون الصبر، فلا أعتقد أنه هناك من يحب الصبر لو كان لديه مَخرج، بل يتصبَّرون لأنهم لا يملكون غير ذلك.

على الرغم من أن المنطقة جديدة، تحت الإنشاء، فإن محل البقالة من أوائل المحال التي يتم فتحها في أي منطقة؛ ذلك لأن الناس لا يمكنهم الاستغناء عن الطعام، يمكنهم الاستغناء عن الكثير من الأشياء، ربما لأنها ليست مهمة، أو لأنهم لا يستطيعون الحصول عليها فيتظاهرون بأنها غير مهمة، لكن الطعام لا يمكن التعامل معه من هذا المنطلق.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

«سماح» فتاة صغيرة في المرحلة الإعدادية، البنت الصغرى لموظف بسيط كان كل أمله أن يحصل على شقة بعيدًا عن بيت عائلته الذي ظلَّ به أعوامًا وظلت المشاكل بين زوجته وأخته وأمه وزوجة أخيه تطارده كل تلك الأعوام.. كان الحل الوحيد أن يرحل ويترك لهم المنزل. بالفعل استطاع في النهاية أن يبتعد عن بيت العائلة ويقطن في هذه الشقة في تلك المدينة الجديدة.

وبما أن «سماح»، كما قلنا، هي البنت الصغرى؛ فالقوانين الأسرية تحتِّم على الصغرى، بمجرد أن تمتلك القدرة على نزول الشارع، أن تصبح هي المسؤولة عن جلب أي مطلب طارئ جاء على بال الأم أو تذكرت فجأة أنه غير موجود، ومن تلك الأشياء التي تكتشف الأمهات دائمًا أنها غير موجودة: الشاي، ذلك المشروب المقدس الذي لو لم يشربه الأب بعد الغداء لتحوَّل البيت إلى جحيم.

- «سماح».. يا «سماح».

كانت «سماح» تشاهد برنامجًا يُذاع على إحدى قنوات الأطفال يتحدث عن الأزياء وآخر الصيحات العالمية في عالم الأزياء، لم تعد برامج الأطفال تلك البرامج البريئة التي تظهر دمية سيئة الصنع فيشهق الأطفال من الإثارة والحماسة ويصاب البعض بالإغماء.. كل شيء يتغير، ردت «سماح» على أمها بضجر؛ لأنها تعلم جيدًا أنها ستطلب منها النزول إلى الشارع وقد كانت تشاهد البرنامج باهتمام:

- نعم يا أمي؟ ماذا تريدين؟

أجابتها الأم وهي تتحمل ضجرها لأنها تريد منها شيئًا ما:

- أريدك أن تنزلي لتحضري الشاي.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ردت عليها «سماح» بتوسُّل:

- بعد البرنامج، أرجوك يا أمي.

قالت لها الأم بصوت مرتفع وهي لا تزال في المطبخ:

- انزلي الآن حتى لا ننسى، والدك لو لم يشرب الشاي بعد الغداء سيجعل يومنا أسود.

فقالت لها «سماح» وعيناها معلقتان على شاشة التلفاز:

- حسنًا، عندما يأتي الفاصل الإعلاني.

بمجرد أن أنهت «سماح» جملتها سمعت الأم صوت الفاصل الإعلاني فقالت لها بتشفٍّ:

- لقد بدأ الفاصل، هيا انزلي بسرعة وعودي قبل عودة البرنامج من جديد.

زفرت «سماح» في ضيق وهي تشعر بالظلم والقهر، قامت من أمام التلفاز على مضض وهي تعلم جيدًا أن الأم لن تتركها إلا إذا نزلت وعادت بالشاي، مشروب الحياة بالنسبة لأبيها.

محل البقالة الوحيد الموجود بالمدينة الجديدة موجود في نهاية الشارع الذي ليس طويلًا، سوف تنزل «سماح» مسرعة، لن تتأخر؛ لأنها سوف تمشي مسرعة بما يشبه الجري حتى تعود لمشاهدة البرنامج.

سارت «سماح» بسرعة كما خططت، محل البقالة على مرمى البصر والشارع الهادئ تمامًا لا يوحي بأن هناك حياة بهذه المنطقة من الأساس، لن يستغرق الأمر دقيقة، هي فقط تتمنى أن يكون الشاب الصغير هو

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الموجود بالمحل وليس الرجل العجوز؛ لأن ذلك الأخير يأخذ الكثير من الوقت في الإتيان بما تحتاجه.

فجأة وقعت «سماح» على الأرض، ربما أحست بضربة على رأسها، ربما تكون تلك الضربة هي ما أوقعتها على الأرض، فقدت وعيها؛ فلم تستطِع أن تميِّز جيدًا ما الذي حدث، لكن عندما عاد إليها وعيها جزئيًّا أحست بأنها محمولة على كتف شخص ما، كان رأسها مدلًّى إلى الأسفل وترى سلالم البناية التي لم يكتمل بناؤها وهي في هذه الوضعية، كان العمل بالشركة متوقفًا اليوم؛ فلم يكن أحد موجودًا بالعمائر التي لم يكتمل إنشاؤها، كانت تسمع الرجل الذي يحملها يدمدم بكلمات لم تفهم مغزاها:

- كل شيء خلقناه بقدر.. فعال لما يريد.. يقف ويرعى بقدرة الرب.

لم تفهم «سماح» أي شيء من كلمات الرجل، كانت كالمخدَّرة، لم تستفِق إلا عندما وصلت إلى السطح، أنزلها الرجل من على كتفه، كان يقف معها عند الحافة التي لم يكن لها سور، نظرت إليه برعب، لم تقوَ على الصراخ، فقط نظرت في عينيه حالكتَي السواد بذعر ودموع الخوف تتجمع في عينيها، ابتسم وقال لها بحنان:

- هذا قدرك يا فتاة.

ودفعها من على السطح من دون المزيد من الكلمات.. لم تصرخ «سماح»؛ لأن الخوف كان لا يزال يتملَّكها، كانت تتوقع أن تتألم، لكنها بمجرد أن عانقت الأرض كانت قد فارقت الحياة، هل بالفعل من يسقط من مكان مرتفع يمكن أن يموت من الصدمة حتى قبل ارتطامه بالأرض؟! ستكون «سماح» حسنة الحظ لو كان هذا الكلام حقيقيًّا، فهذا معناه أنها لم تتألم، ستترك الألم الحقيقي لأمها..

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

التي ستندم كثيرًا لأنها أرسلتها لشراء الشاي في هذا الوقت بالذات.

* * *

عقارب الساعة الفسفورية تشير إلى اقتراب الساعة الرابعة فجرًا، الموعد المفضَّل لحدوث المصائب؛ لذلك فعندما يرن جرس الهاتف في هذا الوقت ففي الغالب تكون هناك مصيبة قد حدثت بالفعل أو في الطريق إليك.

لم يسمع «كرم» هاتفه وهو يرن لأنه كان يضعه على الوضع الصامت قبل نومه إذا لم تكن هناك قضية معينة يقوم بالعمل عليها في هذه الأثناء، ربما بعد تحقيقه في قضية مقتل «مي» لم يشترك في قضية مهمة مثل تلك القضية، لكنه لا يعرف لماذا صار الأرق يصيبه في الوقت الذي حدثت فيه الجريمة منذ أن بدأ التحقيق فيها، قام من فراشه وهو يعرف تقريبًا الساعة، ذهب إلى الصالة ليأخذ هاتفه النقال ويجلس به في الحمام ليسليه في أثناء جلوسه فيه.. لقد أصبحت عادة تصفح مواقع التواصل الاجتماعي بالحمام الهواية البديلة لقراءة الصحف به، لكنه عندما نظر في هاتفه وجد تلك المكالمة الفائتة، حرك أصابعه على الشاشة ليعرف أنها من «سعد». شعر بالقلق؛ لأنه عندما يتصل به «سعد» في مثل هذا الوقت فالمصيبة التي نتحدث عنها بالتأكيد قد حدثت بالفعل، طلب رقم صاحبه ليرن الهاتف ولا يتلقى ردًّا، هل طلبه «سعد» عن طريق الخطأ؟! هو يراه مغفلًا ويفعلها، تردد قليلًا قبل أن يطلبه مرة أخرى، هذه المرة أتاه صوت «سعد» اللاهث كالعادة يقول له:

- كيف حالك يا «كرم»؟

أجابه «كرم» بتوتر:

- بخير والحمد لله، كيف حالك أنت؟

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أجابه «سعد» بتلقائية:

- الحمد لله، أنت تعرف الحياة و...

قاطعه «كرم» بغضب:

- ما الذي حدث يا «سعد»؟ لماذا اتصلت بي في هذا الوقت المتأخر؟ ولماذا لم ترد في أول مرة اتصلت بك فيها؟ أنا لست في حاجة للمزيد من التوتر.

رد عليه «سعد» على الفور:

- لقد وقع مني الهاتف في السيارة وأنا أحاول الرد عليك، أنا ذاهب إلى مصحة الدكتور «عبد المحسن» مع «جمالات» الآن.

تنبهت حواس «كرم» وشعر بالقلق، تمنى أن يكون ظنه في غير محله، سأل «سعد» وهو يتمنى ألا يسمع الإجابة التي يتوقعها:

- وما شأني أنا وذهابكما في هذا الوقت للمصحة؟

أجابه «سعد» بقلق:

- لقد عاد «مازن» إلى المصحة.

كان «كرم» يخشى أن يذكر «سعد» هذا الاسم أمامه مرة أخرى، حاول أن يتماسك ويقول في لا مبالاة:

- وما شأني أنا بعودة «مازن» إلى المصحة؟ كلنا نعرف أنه مريض بذلك الشيء الذي اسمه «التوحد».

رد عليه «سعد» بصوت بدا كالفحيح:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- الأمر ليس كذلك، لقد حدث حريق كبير في فيلا عمه «حاتم»، يقولون إن زوجة عمه حالتها سيئة والولد منذ حدوث الحريق لا يتكلم، سمعت أن «شاكر» مات، أنا غير متأكد، سوف...

قاطعه «كرم» بحدة وغضب:

- أنا غير مكلَّف بالتحقيق في هذه القضية، لقد أُغلق ملف القضية بانتحار «ممدوح»، لا تحدِّثني عن «مازن» مرة أخرى.

تلعثم «سعد» وهو يعتذر قائلًا:

- أنا آسف، لقد ظننت أن ذلك الأمر سيثير فضولك لـ...

قاطعه «كرم» من جديد بصوت أكثر حدة:

- متشكر يا «سعد»، مع السلامة.

أغلق «كرم» الخط وزفر في ضيق، لقد مرَّ ما يقرب من العام على عمله في تلك القضية، هو غير مستريح لـ«مازن» ويخشى مقابلته مرة أخرى.. «اسمك جميل».. الجملة التي كانت تجمِّد الدماء في عروقه، لا يريد أن يسمعها من جديد، لم يدخل الحمام، بل عاد إلى الفراش ليسمع صوت زوجته الناعس يسأله بقلق:

- ما الذي حدث يا حبيبي؟

أجابها بصوت متهدج وهو يتمدد على الفراش بجانبها:

- لا شيء، قضية قديمة يريدونني أن أحقق فيها من جديد.

ثم أضاف وهو يغمض عينيه:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لكنني لن أفتح ذلك الملف مرة أخرى.

وأغمض عينيه يستجدي النوم من جديد، لكنه عاد وتذكَّر حاجته لدخول الحمام فقام من جديد، لكن هذه المرة لم يأخذ الهاتف معه.

* * *

ظل طول ساعات نومه يحلم بالقتيلة، المقص، دماء في كل مكان.. ترى ما سبب ذلك القطع العرضي في جانب جثة القتيلة؟ «مازن» ينظر إليه في ثبات، يبتسم في ثقة: «اسمك جميل».. لعن اسمه وكرهه بسبب ذلك الطفل، عقارب الساعة الفسفورية تشير إلى الرابعة فجرًا، الوقت الذي حدثت فيه الجريمة، هذه المرة يرى «مازن» بوضوح ممسكًا بالمقص، هذه المرة يبتسم في ثقة وهو يقول له:

- سوف تعود يا «كرم».

يسأله «كرم» بخوف:

- ماذا تريد مني يا «مازن»؟

يبتسم «مازن» في هدوء ولا يرد، بينما يزداد خوف «كرم» وهو يسأله من جديد بصوت أقرب للبكاء:

- ماذا تريد مني يا «مازن»؟

أخيرًا يقول له «مازن» وقد تلاشت الابتسامة من على شفتيه وصارت نظرته أكثر حدة:

- اسمك جميل يا «كرم»، اسمك جميل.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

انتفض «كرم» على فراشه وظل يتلفَّت حوله بخوف، حتى إن زوجته التي كانت واقفة أمام خزانة الملابس سألته بقلق:

- ما لك يا «كرم»؟ لم أكن أريد أن أقلقك، كنت فقط أجهز الملابس التي سنذهب بها إلى النادي.

ظل «كرم» يتنفس بصوت مسموع والعرق يغمره، ليس فقط بسبب أنهم في فصل الصيف، بل أيضًا بسبب الكابوس الذي راوده، قام مترنحًا من على الفراش وهو يقول لزوجته:

- من فضلك يا «نسمة»، قومي بتعليق ملابس لي في الحمام، أنا في حاجة للاستحمام.

سألته زوجته وهي تبحث في خزانة الملابس:

- هل أعلق لك ملابس الخروج بدلًا من أن تغيِّر ملابسك مرة أخرى.

فهز «كرم» رأسه بضعف ولم يرد.. خرجت زوجته فعلقت له الملابس وذهبت إلى غرفة الأطفال، قام «كرم» وذهب إلى الحمام فخلع ملابسه ووقف في المستحم ثم أغلق الستارة البلاستيكية التي تمنع الماء من النزول على أرضية الحمام، كان لا يزال شارد الذهن، استند برأسه إلى الجدار وترك الماء ينزل على رأسه لعلَّه يستفيق.. عندما أحس بذلك الظل الواقف خلف الستارة، انتفض وأزاح الستارة ليجد وجهه المذعور يتطلع إليه في مرآة الحمام، بالطبع لم يكن هناك غيره في الحمام، كاد يفقد توازنه ويقع في مستحمه فاكتفى بهذا الاستحمام السريع وبدأ في تجفيف جسده، لا يدري لماذا تذكَّر كلمات «سعد»، كلمات قالها له منذ ما يقرب من العام وهما يقومان بالتحقيق في قضية مقتل «مي»، لكنه دائمًا ما كان يتهم «سعد» بالخبل.

Mktbtk.uk

* * *

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

سأله «كرم»:

- ألم تخبر الطبيبة بملاحظتك؟

نظر إليه «سعد» باستنكار وقال:

- أخبرها بماذا؟! بأنني أظن أن الولد ممسوس؟! ماذا ستقول «جمالات» عني؟!

* * *

ربما لو علم السائقون مِن حوله أنه ضابط شرطة لما تعرَّض لكمية السباب الذي تعرَّض له، كان «كرم» يقود سيارته وهو شارد الذهن، حتى إن زوجته كانت تحذره كل فترة من أنه موشك على الاصطدام بالسيارات من حوله، لكنه وصل سالمًا بمعجزة إلى النادي.. أوقف السيارة ونزل منها يبدو التعب عليه كأنه جاء مشيًا على قدميه وليس في السيارة، بمجرد دخوله النادي اتجه إلى أقرب طاولة فجلس على الكرسي أمامها وأشار إلى الطفلين باللعب في أي شيء بعيدًا عنه. جلست زوجته بجانبه ونظرت إليه متفحصة إياه بينما كان هو ينظر إلى اللاشيء من خلف نظارته الداكنة، سألته زوجته بقلق:

- ماذا بك يا «كرم»؟ مكالمة الأمس لم تكُن خيرًا، أنا متأكدة من ذلك.

زفر «كرم» في ضيق وهز رأسه دون رد، فعادت زوجته تقول له بتوسل:

- احكِ لي.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

كان على وشك الرد عليها، لكن صوت الهاتف قاطعه، نظر إلى شاشة الهاتف وهو يتمنى ألا يجده «سعد»، لكن أمنياته ذهبت أدراج الرياح، ظل ينظر إلى الشاشة ولم يرد حتى انتهى الجرس، فسألته زوجته بدهشة:

- لماذا لم ترد؟

لم يرد عليها «كرم».. رن هاتفه من جديد فقال لها بحدة:

- سوف أرد الآن؛ لأنه لن يتوقف إلا إذا رددت عليه.

فتح الخط وهو يقول بغضب:

- لقد قلت لك يا «سعد» إنني ليس لي علاقة بهذه القضية.

لم يسمع «كرم» أي رد من «سعد»، حتى ظن أنه ليس هناك أحد على الهاتف فسأله:

- هل تسمعني يا «سعد»؟

جاءه صوت «سعد» المتوتر الخائف:

- إنه يريدك يا «كرم».

ابتلع «كرم» ريقه بصوت مسموع وهو يسأله مع أنه يعرف الإجابة:

- من هذا الذي يريدني؟

زفر «سعد» وهو يقول بصوت مرتعش:

- «مازن»، «مازن» يريدك أنت بالذات.

* * *

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

فقال له «سعد»:

- يريد «كرم».. هذا ما يردده ويقوله.. أريد «كرم».

فقال له «كرم»:

- ربما يريد هذه اللعبة.

رد عليه «سعد»:

- جرِّبوا معه كل شيء.. «جمالات» تظنه يريدك ليخبرك بشيء ما كما أخبرك عن الهاتف.

* * *

لقد حزم «كرم» أمره، لن يذهب مرة أخرى إلى «مازن»، أخبر «سعد» بغضب قبل أن يُغلق الخط في وجهه:

- لن آتي إلى ذلك الولد حتى لو اتصل الوزير بي.

ظل طول اليوم متوترًا، يحاول أن ينسى، لكن الأمر كان في خلفية تفكيره، مهما حاول أن ينسى أو يتناسى، أكل أكثر من المعتاد، حاول أن يتكلم مع زوجته في أي شيء، حتى إنه تكلم معها عن المسلسل الذي لم يرَه قط في حياته ولا يريد أن يراه، ظل يضحك لساعات على طفل صغير سقط من على دراجته كأنه يشاهد أحد الأفلام الهزلية، وعندما عاد إلى البيت جلس أمام التلفاز وظلَّ يقلِّب في القنوات، يقلِّب بلا توقف كأنه يجلس للتقليب لا للمشاهدة، حتى إن «نسمة» قالت له بضجر:

- «كرم».. أنت لا تترك لنا فرصة حتى نعرف الشيء المعروض.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

اعتذر «كرم» دون أن ينظر إليها وترك قناة لم تبدأ العمل بعد، عليها بث تجريبي للفاصل الخاص بها، نظرت إليه «نسمة» بدهشة تحولت إلى غيظ قبل أن تأخذ جهاز التحكم من بين يديه وهي تقول له:

- عن إذنك، يبدو أنك لست معنا من الأساس.

ترك لها «كرم» الجهاز وظل في شروده حتى جاء موعد نوم الطفلين فقبّلهما واحتضنهما بحنان، لا يعرف لماذا يشعر بالشوق إليهما على الرغم من أنهما معه، عادت إليه زوجته بعد أن تأكدت من أن الطفلين في سريريهما فقالت له وهي تتثاءب:

- ألن تنام؟ عندك عمل في الغد.

فقام «كرم» متثاقلًا، لقد استيقظ باكرًا وهو الآن بالفعل يشعر بالنعاس، دخل «كرم» على الفور إلى الفراش، فقالت له زوجته معترضة:

- ألن تقوم بغسيل أسنانك قبل النوم؟

ادعى «كرم» أنه أصيب بصمم مفاجئ ومؤقت فلم يسمع هذه الجملة بالذات، تمدد على الفراش وتمنى أن يكون نومه هادئًا هذه الليلة.

* * *

ظل طول ساعات نومه يحلم بالقتيلة، المقص، دماء في كل مكان، تُرى ما سبب ذلك القطع العرضي في جانب جثة القتيلة؟ «مازن» ينظر إليه في ثبات، يبتسم في ثقة: اسمك جميل.. لعن اسمه وكرهه بسبب ذلك الطفل، عقارب الساعة الفسفورية تشير إلى الرابعة فجرًا، الوقت الذي حدثت فيه الجريمة، هذه المرة يرى «مازن» بوضوح ممسكًا بالمقص، هذه المرة يبتسم في ثقة وهو يقول له:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- يجب ألا نضيع المزيد من الوقت، أنت في حاجة إليَّ مثلما أنا في حاجة إليك.

سأله «كرم» بذعر:

- ماذا تريد مني يا «مازن»؟

رد عليه «مازن» وهو يبتسم:

- أنا أريدك وأنت تريدني.

قال له «كرم» بصوت غاضب:

- أنا لا أريد منك شيئًا.

زالت الابتسامة من على وجه «مازن» للحظات قبل أن تعود وهو يقول له ببراءة:

- لكن اسمك جميل.

استيقظ «كرم» فزعًا من نومه وهو متأكد من أن عقارب الساعة تشير إلى الرابعة فجرًا، الوقت الذي حدثت فيه الجريمة.

* * *

طول اليوم والصداع يطارده، كأنه تاجر بخيل وهو مدين له بالمال، حتى إنه لم يستطِع إكمال اليوم في عمله، فاستأذن وعاد إلى البيت قبل موعده المعتاد، دخل الشقة ليجدها ساكنة على غير العادة، لا يعرف لماذا تحسس مسدسه بحركة غريزية وكأنه سيجد مجموعة من اللصوص في انتظاره، دخل الشقة على أطراف أصابعه ليمر على الغرف سريعًا فلا يجد أي أحد في الشقة، دب القلق في قلبه وشعر بمزيد من التوتر وهو يخرج

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الهاتف ليتصل بزوجته، بالطبع لن ترد وسيزيد قلقه، لكنها أخلفت ظنه وردت على الفور وكأن الهاتف كان في يدها، سألها بلهفة:

- أين أنتِ يا «نسمة»؟ وأين الولدان؟

ردت عليه زوجته بقلق:

- هل هناك خطب ما؟

أجابها «كرم» بتلعثم:

- لا شيء، لكني وصلت الشقة ولم أجدكم.

زفرت زوجته براحة وهي تقول:

- لا تقلق، لقد نزلت مع الولدين لنشتري بعض الأشياء التي سنأخذها معنا في زيارتي لوالدي، هل نسيت أننا اتفقنا أن نزوره اليوم؟

بالطبع نسي، لكنه قال لها على الفور:

- بالطبع أتذكر، أنا في انتظاركم.. لا تتأخري.

وأغلق الهاتف وهو يلعن الزيارة في سره، هو لا يكره أن يزوره، لكنه اليوم يشعر بتعب شديد بالإضافة للصداع الذي يلازمه، ربما هاجمه الصداع من قبلُ، لكنه لم يكُن يهاجمه بهذه الشراسة، هو لا يستطيع أن يعتذر عن عدم الزيارة؛ فوالد «نسمة» أصبح على المعاش وأي شيء يتم تفسيره الآن بأنه أصبح على المعاش..

لو اتصل به ولم يرد، يكون ذلك بسبب أنه أصبح على المعاش، لو تأخروا في زيارته عدة أيام، يكون ذلك لأنه أصبح على المعاش، لو عامل «كرم» الأطفال ببعض القسوة، يكون ذلك بسبب أن جدهم أصبح على

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

المعاش، «كرم» يشفق عليه، خاصة أنه يعيش بمفرده؛ فوالدة «نسمة» ماتت منذ مدة طويلة، وهو أنفق كل وقته في عمله، وعمله كان سلطة ومالًا ونفوذًا، الآن هو موظف بالمعاش، وعلى الرغم من أنه صار على المعاش منذ مدة قصيرة فإن تلك المدة كانت كفيلة بتغييره.

جلس «كرم» على الفراش دون أن يبدِّل ملابسه؛ لأنه سيذهب إلى والد «نسمة» بعد عودة زوجته وولديه، وضع رأسه بين يديه وهو يشعر بألم شديد، كان يحتاج إلى مُسكِّن، لكنه لا يعرف مكان أي شيء بالمنزل، «كرم» من هؤلاء الرجال الذين لا يعرفون أي شيء عن البيت، اضطر أن ينتظر حتى عادت زوجته، فتوجهت مسرعة إلى غرفة النوم لتجده على هذا الحال، ربتت على كتفه وهي تسأله بشفقة:

- هل تشعر بالصداع من جديد؟

هز «كرم» رأسه دون أن يفتح فمه، فقالت له بلوم:

- يجب أن تذهب للطبيب.

ابتسم «كرم» بسخرية قبل أن يقول لها:

- لقد استشرت الكثير من الأطباء، لا شيء، يقولون لي خفف من التوتر، فلأترك عملي وأعمل راقص باليه أفضل.

ابتسمت زوجته من سخريته رغمًا عنها وتوجهت إلى خزانة صغيرة تضع فيها الأدوية، أحضرت له المسكِّن وهي تقول له:

- نومك المتقطع وقلقك بالتأكيد هما السبب.

أخذ منها المسكن وهو يقول لها بغيظ:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- بالتأكيد ذلك الولد النحس هو السبب.

فسألته زوجته بعدم فهم:

- أي ولد؟

هز «كرم» رأسه في لا مبالاة وقال:

- لا شيء، أحضري لي كوبًا من الماء.

أخذ «كرم» المسكِّن وتمدَّد على الفراش مغمض العينين، فقالت له زوجته مشفقة عليه:

- يمكننا ألا نذهب إلى والدي اليوم، يبدو عليك التعب.

رد عليها «كرم» بسرعة وهو ما زال مغمض العينين:

- يمكنني الذهاب، سوف أستريح فقط بعض الوقت ونذهب على الفور.

لم يكن «كرم» يتوقع أن يداهمه النوم، ولم يتوقع أن يزوره «مازن»، أحس بعدم الانضباط؛ فالكابوس الخاص بـ«مازن» يزوره في تمام الرابعة فجرًا، ما الذي جعله يأتي الآن؟ يبدو أنه لم يعد أحد يحترم مواعيده.

هذه المرة - وللمرة الأولى - يرى «كرم» نفسه بالمصحة، في الغرفة التي كان بها «مازن»، الذي كان يجلس على فراشه في هدوء، وقف «كرم» مترددًا عند باب الحجرة، حركته لم تكن بطيئة كما الأحلام، بل كان الحلم واقعيًّا بطريقة مخيفة، دخل الغرفة وهو يقدِّم رِجلًا ويؤخِّر الأخرى، كان الضوء خافتًا، وعلى الرغم من ذلك لاحظ الابتسامة الواثقة التي ارتسمت على شفتي «مازن»، وقف عند نهاية الفراش، فرأى لمعان

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

عينيه في الظلام، سرت القشعريرة في جسده وسأله بصوت مرتعش وقلب منقبض:

- ماذا تريد مني يا «مازن»؟

اكتفى «مازن» بالابتسام ولم يرد عليه، فردد «كرم» السؤال مرة أخرى، ولم يتلقَّ ردًا، فقال له «كرم» بتوعد:

- لن أدعك تفسد حياتي، لن آتي إليك مهما حدث.

هذه المرة اتسعت ابتسامة «مازن» وقال له ببراءة:

- كنت أعلم أنك ستعود.

انتفض «كرم» مستيقظًا فجلس على الفراش، نظر في ساعة يده التي لم يكن قد خلعها فعلم أنه قد نام قرابة الساعتين، لم يعد يشعر بالصداع، لكن الصداع مع ذلك الحلم تركا له بعض الدوار كتذكار، قام من على الفراش فاتجه إلى الحمام وهو يسمع الجلبة التي يصنعها مَن بالبيت، وضع رأسه تحت الصنبور، استعاد الكثير من وعيه وتركيزه، كانت كوابيس «مازن» قد انقطعت منذ فترة طويلة، ربما بعد موت «ممدوح» بوقت قصير، ما الذي جعلها تعود إليه الآن؟

خرج من الحمام بعد أن جفف رأسه ليجد زوجته تنظر إليه في قلق، فسألها:

- لماذا تنظرين إليَّ بهذه الطريقة؟

أجابته زوجته:

- تبدو في حالة سيئة.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ابتسم بسخرية كعادته كلما سمع من يتكلم عن حالته السيئة وهو يقول لها:

- منذ متى وأنا حالتي جيدة؟! سوف تقضي عليَّ هذه الوظيفة.

ثم استطرد بحماس مفاجئ:

- هيا بنا نذهب إلى والدك، لقد تأخرنا عليه.

كان يحاول أن ينسى، يريد أن ينسى، لكنه لا يستطيع ذلك، ركب الجميع السيارة في مرح حقيقي إلا هو، كان يحاول أن يدَّعي أنه سعيد، بدأ في قيادة سيارته بالطريقة نفسها التي كان يقود بها وهم ذاهبون إلى النادي، ليحصل على كمية سباب أكبر من المرة الماضية؛ لأن الطريق إلى والد «نسمة» كان أطول.

وصلوا أخيرًا إلى الفيلا، ترك «كرم» سيارته بجانب الرصيف بطريقة عشوائية تنمُّ عن ضجر صاحبها، ونزلوا جميعًا منها، ليقوم لهم البواب الجالس أمام الفيلا مؤديًا التحية العسكرية.. لم يكن الرجل ينتمي إلى جهاز الشرطة، وقد جاء والد «نسمة» به بعد أن خرج على المعاش ولم يعد يأتي معه أحد من العساكر.. اللوح الخشبي كما هو، اللواء «فتحي عبد الرحمن»، لم يضف كلمة «السابق» إلى وظيفته التي صارت سابقة، لا يريد أن يعترف بالواقع الجديد، وهذه مشكلة مَن تكون وظيفته هي كل حياته؛ فبانتهائها يشعر كأن حياته قد انتهت.

دخل «سامح» و«هدى» الفيلا قبل والديهما، جريا بسرعة إلى حديقة الفيلا الصغيرة وهما يعرفان أن جدهما سيكون في انتظارهما، وقد كان ما ظناه، عندما رأى «كرم» السعادة والبشاشة التي ارتسمت على وجهه شعر

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

بمزيد من الشفقة نحو ذلك الرجل الذي أصبح فجأة عجوزًا، للمعاش قدرة سحرية على إظهار علامات الشيخوخة.

جرَّ «كرم» كرسيًّا وجلس إلى جوار الرجل الذي كان منشغلًا بتقبيل الولدين، وبعد أن انتهى سلَّم على ابنته وقبَّلها، فسلَّم عليه «كرم» وهو يبتسم ويقول له ليرفع من معنوياته:

- كيف حالك يا باشا؟

ابتسم «فتحي» في مرارة وهو يرد عليه:

- لم أعد باشا، أنا فقط عمك «فتحي» العجوز.

ربت «كرم» على كتفه وهو يقول له:

- لا تقُل مثل هذا الكلام، ستظل أنت اللواء «فتحي» الذي كان يقوم بحل أصعب القضايا.

هزَّ الرجل رأسه في أسى وهو يقول بحزن:

- أنت قلتها، كان.. أما الآن فأنا مجرد موظف على المعاش.

قال له «كرم» أي كلام من عينة: لا تقُل هذا الكلام، أنت مُعلمنا.. والكثير من كلمات المجاملة التي لا تقدِّم ولا تؤخِّر.

زفر «فتحي» في ضيق وهو يقول له بحسرة:

- لا أدري، ربما يكون العيب فيَّ أنا، لم أستطِع أن أكوِّن صداقات حقيقية في أثناء عملي، ربما كنت شريفًا أكثر من اللازم، لم أجامل أحدًا أو أتغاضَ عن أخطاء أحد، وكانت هذه هي النتيجة: الوحدة والفراغ.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

هزَّ «كرم» رأسه موافقًا على كلامه قبل أن يقول له مداعبًا:

- لماذا تقول هذا الكلام يا باشا؟ ألا تكفي زيارتنا لك؟

تنهَّد «فتحي» في حسرة وقال له:

- بل أنتم كل ما تبقَّى لديَّ، لكنك عندك ما يشغلك، وكذلك الولدان سيعودان إلى المدرسة قريبًا، الله يرحمك يا «تفيدة».

«تفيدة» هي زوجته التي ماتت منذ سنوات ولم يرضَ أن يتزوج بعدها، كان «كرم» يتساءل أحيانًا: كيف يكون الرجل بهذه الشخصية الطيبة ويعمل مع المجرمين، بل وينجح في عمله؟! كان يرى أنه من الممكن أن يكون معلِّمًا لا ضابط شرطة.

كانت «نسمة» قد وضعت الطعام الذي قد صنعت جزءًا منه واشترت الجزء الآخر على الطاولة أمامهما، لم تكُن تكترث لحديثهما؛ فقد كان كل ما يشغلها الطعام، فقالت لهما فور أن انتهت:

- هيا نأكل أولًا ثم نكمل الكلام.

فبدأوا بالأكل، لكن «فتحي» قال لـ«كرم» في سعادة حقيقية قبل أن يأكل:

- أجمل وجبة آكلها هي الوجبة التي آكلها معكم، الحمد لله أن رزقني ابنًا مثلك يا «كرم».

وقف الطعام في حلق «كرم»، كان لا يحب الإطراء، لكنه شعر بصدق مشاعر الرجل، وشعر بمزيد من الحب نحوه.

* * *

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

لو لم يزُرهُ كابوس «مازن» قرب الرابعة فجرًا لاعتقد أن هناك خطبًا ما في ساعته، هذه المرة أيضًا كان في المصحة، في غرفة «مازن»، الذي كان يجلس في فراشه كأنه ينتظر قدومه، كره «كرم» النوم بسبب هذا الطفل كما كرّهه في اسمه من قبل، كان واعيًا في الحلم بصورة مفزعة، كان يرى كل التفاصيل كأنه مستيقظ، قال «كرم» له باستسلام وهدوء هذه المرة؛ لأنه تأكد من صعوبة التخلص منه:

- ماذا تريد مني يا «مازن»؟

رد عليه «مازن» هذه المرة على الفور قائلًا وهو يبتسم:

- لماذا تعتقد أنني فقط الذي أحتاجك؟

أجابه «كرم» بحدة:

- لأنني ببساطة لا أريد رؤيتك مرة أخرى.

انفرجت أسارير «مازن» أكثر من ذي قبل وهز رأسه وهو يقول:

- أنت لا تعرف أي شيء يا «كرم»، هل تعرف لماذا أريدك أنت بالذات؟

هزَّ «كرم» رأسه ولم يرد، فاستطرد «مازن» باللهجة الهادئة نفسها:

- أنت الوحيد الذي سيوافق على الصفقة.

فسأله «كرم» بتوتر:

- أي صفقة يا «مازن»؟

أجابه «مازن» بجدية:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- عندما تأتي سوف تعرف.

رد عليه «كرم» هذه المرة صارخًا:

- لن آتي إليك يا «مازن»، هل تسمعني؟ لن آتي إليك.

لكن «مازن» لم يرد عليه، واكتفى بالابتسام والصمت، حتى إن «كرم» استيقظ وهو ما زال يصرخ، ويد زوجته تربت عليه لتهدئه وتقول له بفزع والكلمات تتلاحق في خروجها من فمها:

- حسنًا، حسنًا، لا تخَف يا «كرم»، لن نذهب إلى أي مكان.

وبالطبع عندما نظر إلى الساعة كان متأكدًا أنها تشير إلى الرابعة فجرًا.

* * *

عندما وصل «كرم» إلى عمله في هذا اليوم، كان منظره يوحي أنه قضى ليلته في الصراع مع كلب مسعور أو الهرب من أسدٍ فارٍّ من حديقة الحيوان ويريد الانتقام لسنوات حبسه.

كان يمر في الرواق المؤدي إلى مكتبه ولا يرد التحية على من هو أقل منه رتبة ولا يؤديها لمن هو أعلى منه، كان سيدخل المكتب، لكن الجندي الواقف أمام باب مكتبه أدَّى له التحية العسكرية وهو يقول له:

- معالي «نصر باشا»، مساعد الوزير، يريد سعادتك في مكتبه.

رمقه «كرم» بمزيج من الغضب واللوم، كان سيضربه، لكنه تذكر أنه لا ذنب له، بالإضافة إلى أن طلب مساعد الوزير له شيء طبيعي، عاد أدراجه متوجهًا إلى مكتب السيد «نصر» الذي كان معروفًا بحدته

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

وصرامته، طلب «كرم» من مدير مكتب «نصر» أن يخبره بقدومه، لكن مدير المكتب قال له على الفور:

- تفضل بالدخول على الفور، إنه بانتظارك.

دخل «كرم» وهو يشعر بالقلق، يبدو أن في الأمر مصيبة ما، وقف أمام الرجل الذي قال له بصرامة على الفور:

- منذ متى ونحن ننتقي القضايا التي نعمل عليها يا سيد «كرم»؟

قال «كرم» في سره: «يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم».. ثم كتم غيظه وقال للرجل باحترام:

- هل هناك مشكلة ما يا سيدي؟

رد عليه الرجل بصرامة من جديد:

- الحريق الذي حدث في فيلا «حاتم شاكر»، لقد أخبرني «سعد» بأن ذلك الطفل المجنون، ابن السيدة التي كنت تحقق في مقتلها العام الماضي، لا يريد التحدث إلا إليك.. على فكرة، رجال المعمل الجنائي يشكون أن هناك شبهة جنائية، الأمر لم يعد حريقًا عاديًّا.

«سعد»! ذلك الخائن! سوف أقضي عليه عندما أراه..

رد عليه «كرم» بسماجة وهو يكظم غيظه:

- على فكرة، ذلك الطفل لم يكن مجنونًا، إنه مصاب بالتوحد.

أشار إليه الرجل بلا مبالاة وهو يقول له:

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- توحد، «تثاني»، «تثالث».. لا يهم، المهم أنني أريدك أن تحل هذه القضية، أنت مكلف بها رسميًّا منذ الآن.

استشاط «كرم» غضبًا لكنه لم يستطِع الرفض، فقال للرجل:

- حسنًا يا سيدي، سوف أذهب للمصحة للتحدث مع الطفل المجنون وأحضر التقرير لحضرتك.

كان ينوي أن يكتب أي شيء لينتهي من ذلك الأمر، لكن «نصر» عاد يقول له:

- قبل أن تذهب إلى المصحة، أريدك أن تتحدث مع عم ذلك الطفل «حاتم شاكر»، صاحب الفيلا، هو أيضًا لا يريد التحدث إلا معك، لا أدري ماذا فعلت لهذه العائلة!

أجابه «كرم» بلهجة ساخرة:

- يبدو أن لي سحرًا خاصًّا على تلك العائلة.

لم يبدُ على «نصر» أن دعابة «كرم» قد راقت له، قال له كأنه يطرده من مكتبه بطريقة جيدة:

- سوف أرسله ليجلس معك في مكتبك، اعرف منه ما تريد ثم اذهب للتحدث مع ذلك الطفل المجنون.

أدى «كرم» التحية العسكرية وهو يقول له:

- تحت أمرك يا أفندم، لكنه ليس مجنونًا يا سيدي.

ترك «كرم» المكتب وهو يسب «سعد» - الذي ورَّطه في هذه القضية من جديد - في سره وهو في طريق عودته إلى غرفة مكتبه، التي بمجرد

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

دخولها والجلوس على مكتبه سمع طرقات الجندي على الباب ليدخل ويقول له:

- هناك رجل بالخارج...

قاطعه «كرم» بضجر قائلًا:

- أدخله.

خرج الجندي لثوانٍ ليدخل بعدها ذلك الرجل، عندما رفع «كرم» بصره إليه أصابه الذهول، حتى إنه سأله؛ لأنه ظن أنه تسرع في مقاطعته للجندي:

- هل حضرتك الأستاذ «حاتم شاكر»؟

أومأ الرجل برأسه وجلس على الكرسي أمام المكتب دون أن يطلب منه «كرم» ذلك، كانت هيئة الرجل رثة، له شارب كث ينزل على فمه ولحية طويلة، شعره طويل وغير ممشط، يبدو كأنه أكبر من عمره بكثير، خاصة بذلك الشيب الذي بدأ يظهر عليه والتجاعيد.

رن «كرم» الجرس ليطلب الجندي وهو يسأله:

- ماذا تشرب يا أستاذ؟

كان الجندي قد دخل ووقف عند باب الحجرة، فأجابه «حاتم»:

- لا شيء.

لكن «كرم» قال له مُصرًّا:

- لا بد أن تشرب أي شيء.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

فعاد «حاتم» يقول له بتذمر:

- شكرًا، لا أريد.

فعرض عليه «كرم» لفافة تبغ من علبة سجائره التي كانت على المكتب وهو يقول له بتودد:

- هل تدخن؟

ضرب «حاتم» يده قبل أن يضرب المكتب بقبضته وهو يقول له:

- ليس أمامي الوقت لهذا الهراء، «مازن» لا يريد التحدث مع غيرك، يجب أن أنقذه بأي ثمن.

اعتذر «كرم» لـ«حاتم» وحاول تهدئته قبل أن يقول للجندي:

- أحضر لنا عصير ليمون بسرعة.

ذهب الجندي مسرعًا، كان «كرم» يفكر في السبب الذي يجعل الجميع يظن أن عصير الليمون يهدّئ الأعصاب، مع أنه يرى أن حالة «حاتم» هذه لن يفلح معها أي عصير.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

العم

كانت «لبنى» من الطالبات المتفوقات في المعهد العالي للفنون المسرحية، من قبل أن تتخرج عرض عليها أحد الأساتذة أن تقوم بالتمثيل في إحدى المسرحيات التي تقام على أحد المسارح التابعة لوزارة الثقافة، دورها صغير والمسرحية من الأساس لن يدخلها إلا عدد قليل، لا يدخل ذلك النوع من العروض المسرحية غير تلك الفئة المتابعة للمسرح عن كثب أو الذين يريدون أن يظهروا بمظهر المثقفين فيدخلوا عرضًا مسرحيًّا لا يعلمون عنه أي شيء، ولن يفهموا منه أي شيء، كان دور «لبنى» هو دور جارية تقدم الشراب لسيدها فيمسك بيدها فتقول هي بصوت صارخ:

- يا ويحي.

وتجري لتختفي من على خشبة المسرح، دور بسيط لكن «لبنى» كانت متوترة، وهذا طبيعي في أول مرة لها على المسرح، وبعد أن أمسك الممثل بيدها، وبدلًا من أن تقول «يا ويحي»، قالت «يا لهوي» وجرت، الغريبة أنه لم يعلِّق أحد على ذلك، من الأساس لم يلحظ أحد ذلك إلا مخرج المسرحية الذي غفر لها هذه الزلَّة لجمالها، لو كانت ممثلة أخرى لكان له

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

معها شأن آخر، لكن الجمال قادر على أن يجعل معظم الأشخاص يغفرون أكبر الزلات.

في مجتمعنا، أي فتاة تمتلك عينين لهما أي لون آخر غير الأسود، يكون الحكم عليها بأنها جميلة، وكانت «لبنى» تمتلك عينين زرقاوين وشعرًا بنيًّا قصيرًا وناعمًا وبشرة بيضاء؛ بذلك حصلت على الاعتماد مِن كل مَن يراها بأنها جميلة، الأخطر من ذلك أنها مقتنعة بأنها جميلة وتتعامل مع الجميع من هذا المنطلق.

كانت تشعر بأنها قد أصبحت نجمة معروفة، أو على وشك، بالتأكيد سوف يراها أحد المخرجين الكبار ويُعجب بها ويجعلها تشارك في فيلم عالمي في يوم ما، ربما يتأخر ذلك اليوم، لكنها تؤمن كامل الإيمان بأنه قادم لا محالة، كانت كل ليلة تخرج مع ممثلين يقومون بأدوار في مثل درجة أهمية دورها، ذلك الشاب الأسمر النحيف الذي جعل شعره ضفائر رفيعة مثل الأفارقة يقوم بدور عبد يركله سيده بينما يتأوَّه هو، بالتأكيد مساحة دور «لبنى» أكبر من مساحة دوره هو؛ فهي تقول كلمتين - هذا إذا جاملناها واعتبرنا أن «يا» كلمة - أما هو فيتأوَّه فقط، وقِس على ذلك باقي الحاضرين، كلهم يحاولون تربية شعرهم بطريقة غريبة والكلام بمصطلحات لا يفهمونها هم أنفسهم حتى يظهروا بمظهر المثقفين، هذا بالطبع بالإضافة إلى التدخين، ربما يكون من الممكن ألا يدخِّن الرجل المثقف، أما المرأة التي تريد أن تبدو مثقفة فيجب أن تدخن وتضع رِجلًا فوق الأخرى، وهذا ما أصبحت «لبنى» حريصة عليه.

كانت تجلس مع زملائها في ذلك المقهى القريب من المسرح حتى وقت متأخر من الليل، وبالطبع يتطوَّع أحدهم لتوصيلها، وكان ذلك الشاب النحيف الذي يضربه سيده على المسرح، كان يجب عليهما في البداية

مكتبتك Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

المشي حتى شارع رئيسي والحصول بعدها على سيارة أجرة في ذلك الوقت المتأخر، كانوا ينفقون على سيارات الأجرة أضعاف ما يحصلون عليه من المسرح، وهذا لم يكن يؤرقهم؛ فمعظمهم مرتاحون ماديًّا، وجدا السيارة فركبا بها، قالت «لبنى» للشاب الراكب معها:

- شكرًا جزيلًا يا «عمر» لأنك توصِّلني كل يوم.

ابتسم «عمر» في فخر وقال لها بحماس:

- ولا يهمك يا «لبنى»، تحت أمرك.

نظر السائق في مرآة سيارته إليهما قبل أن يزفر في ضيق ويتمتم بسخط:

- تُب علينا يا رب.

كان «عمر» يشعر بسعادة بالغة وهو يجلس بالقرب من «لبنى»، كان يشعر بأنه متميز عن الآخرين، وهي لم تكن تمانع بأن يحبها أي شخص، المهم أنها لا تحب أحدًا، وكانت تعتبرهم معجبين، وقفت السيارة حيث أشارت «لبنى»، فنزلا منها وأرادت أن تعطي هي الحساب للسائق، لكنه صمَّم، وبعد أن ذهب السائق قالت له «لبنى» بخجل مصطنع:

- يجب أن تذهب الآن، البناية في نهاية هذا الشارع، من غير اللائق وجودنا معًا في هذه الساعة.

هزَّ «عمر» رأسه متفهمًا وهو يقول لها:

- سوف أنتظر هنا حتى أتأكد من أنك قد دخلتِ البناية.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

بالطبع يجب أن يبدو القلق عليه حتى لو لم يكن كذلك، ولو من باب المجاملة، فابتسمت في دلال وتركته، كان الطريق قصيرًا، خطوات قليلة وتصل إلى البناية، لكنه ظهر فجأة كأنه جاء من العدم ليسد الطريق أمامها..

ما إن رآه «عمر» حتى ارتعدت فرائصه، كان شديد الطول والنحافة، لا تظهر ملامحه للمسافة التي تفصلهما وضوء الشارع الخافت، جرى «عمر» نحوه وهو يصرخ:

- ماذا تريد منها؟ ابتعد عنها.

عندما اقترب سمعه يقول لها بصوت حزين:

- كل شيء خلقناه بقدر.. فعال لما يريد.. يقف ويرعى بقدرة الرب.

لا يعرف «عمر» لماذا لم تصرخ «لبنى»، لا يعرف لماذا ظلت ساكنة حتى ذبحها ذلك الشيء أمام عينيه وهو يقول لها بحنان:

- هذا قدرك يا فتاة.

لم يتحمل «عمر» أكثر من ذلك، ظل يصرخ كالمجنون ويجري في الشارع مبتعدًا عن مكان الجريمة، ظنًّا منه أن ذلك الشيء سيجري خلفه، كان يتوقع أنه مجرد سارق وسيخاف عندما يعلم أن هناك مَن يمر بالشارع، لم يكن يتوقع أن يذبحها بهذه البساطة، لم يتخيل أن تنتهي «لبنى» هكذا، نعم هكذا، كانت هنا معنا والآن هي هناك، لم يسمع ذلك الشيء وهو يقول برضا:

- ساعتكَ لم تحِن بعد.

واختفى بلا أثر كما جاء بلا مقدمات.

* * *

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ابتسم «مازن» في رضا، ثم أغلق كراسة الرسم واستعد للنوم ملء جفونه في بيته الجديد..

لكنه فجأة عاد وقام من نومه ليمسك بالقلم ويرسم سيدة.. حاول أن تكون شابة ولها شعر أصفر مثل زوجة عمه..

وبدأ يفكر.. ماذا سيفعل بها..

هل سيتركها، أم سيشطب عليها..

* * *

كان «حاتم» يرتجف، يداه ترتعشان وإن كان قد هدأ بعض الشيء بعد شربه عصير الليمون، حركاته القلقة والفزع البادي عليه أثارا حفيظة «كرم» وقلقه، الذي جلس ساكنًا منتظره أن يبدأ كلامه، حتى قال له بصوت مرتعش:

- منذ أول يوم له بالفيلا و«نسرين» زوجتي غير مستريحة له، لكنه ابن أخي، لا يمكنني أن أتخلص منه، هذا بالطبع من الناحية الأدبية، ومن جهة أخرى فأنا لا أنجب، و«مازن» هو من كان يعوِّضني عن مشاعر الأبوَّة التي أفتقدها، كنت أحب «مازن» وما زلت، على الرغم من كل ما حدث، حبي لطفلي الذي لم أنجبه؛ لذلك فكنت أصرف عن ذهني أي ظن سيئ فيه.

فمال «كرم» على المكتب وهو يسأله باهتمام:

- وما الذي كان يدفعك لسوء الظن؟

ابتسم «حاتم» بمرارة وهو يقول:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- الكثير من الحوادث، الكثير منها.

ثم تلاشت الابتسامة من على وجهه وحل محلها الخوف على قسمات وجهه وهو يقول دامع العينين:

- حوادث كان آخرها ذلك الحريق.

وبدأ في سرد الحكاية من بدايتها الجديدة.

* * *

لم تكُن «نسرين» تلك السيدة الثرية التي تجلس دون أن تفعل أي شيء لأن عندها خادمة، بل كانت تحب أن تساعد في ترتيب الفيلا والطبخ مع «أم مختار»، الخادمة الوحيدة بالفيلا، كانت تعتبر «أم مختار» من أفراد العائلة، هي سيدة بسيطة، طيبة القلب، والأهم من ذلك أنها كانت ماهرة وأمينة، تأتيها كل صباح فتقوم بعمل ما تريد منها وتعود إلى منزلها بعد العصر بقليل.. في ذلك اليوم، طلبت «نسرين» منها أن تقوم بإعداد الطعام بينما تقوم هي بترتيب الفيلا، وستبدأ بغرفة «مازن» التي يجب أن تتم مراعاتها يوميًّا، هي غير مستريحة للولد، لكنه أمانة في عنقها على كل حال.

صعدت إلى الغرفة، كانوا يحاولون ألا يتركوه بمفرده قدر المستطاع؛ لذلك كانوا يُحضرون له مدربة تنمية المهارات، التي سوف تحضر له بعد قليل.

فتحت «نسرين» باب الغرفة لتجدها مظلمة؛ فالستائر مسدلة، أضاءت النور فلم تجد أحدًا بالغرفة، كانت ستعود أدراجها لتبحث عنه، لكنها لمحت الرسمة الملقاة على الأرض بجوار الفراش، لا تدري لماذا لفتت انتباهها، انحنت على الأرض فأخذتها ونظرت إليها متفحصة.

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

كانت الرسمة عبارة عن رجل كبير ومعه طفل صغير يبكيان، مشطوب عليهما، وآخران يضحكان، والرجل الضاحك مشطوب عليه أيضًا، وفي جانب الورقة سيدة شابة ولها شعر أصفر مشطوب عليها هي الأخرى.. لا تدري «نسرين» لماذا تحسست شعر رأسها بحركة غريزية، وفجأة أجفلت عندما شعرت بأن هناك شيئًا ما يقف خلفها، لا تدري لماذا خبأت الرسمة تحت ملابسها قبل أن تلتفت لتجد «مازن» ينظر إليها بلا أي تعبير على وجهه، نظرت إليه وحاولت أن تبتسم، نظرته الصارمة جمَّدت الدماء في عروقها، قالت له وهي تحاول أن تُخرج كلماتها ودودًا قدر الإمكان:

- أين كنت يا حبيبي؟

لم يرد «مازن» وظل ساكنًا في مكانه، تحركت من مكانها قليلًا فلم يحرك عينيه معها، بل ظلت نظرته مركزة على اللاشيء الذي ينظر إليه بإمعان، فقالت له من جديد بمرح كاذب:

- سوف تأتي الأستاذة «نيفين» بعد قليل، أنت تحبها، أليس كذلك؟

لم يرد وظل واقفًا في طريق الباب، ما اضطرها للدوران حوله في محاولتها للخروج من الغرفة، كانت عن يساره عندما سمعته يقول بهدوء:

- السرقة ليست شيئًا جيدًا.

تجمَّدت «نسرين» في مكانها وابتلعت ريقها بصوت مسموع، بينما استطرد هو:

- أريد رسمتي.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

قالها وهو يحملق في اللاشيء نفسه، لم تنكر «نسرين» أو تبرر، فقط وضعت يدها تحت ثيابها ومدت إليه يدها بالرسمة، فأشار إلى الأرض حيث كانت الرسمة ملقاة من البداية دون أن يتكلم، ففهمت ما يريد، فأعادت الرسمة على الأرض في مكانها القديم.. نظرت إليه وحاولت أن تبتسم لكنها لم تستطِع، تركته بالغرفة وهرولت إلى الأسفل، ظلت الأفكار الكابوسية تطاردها: من يقصد بتلك السيدة ذات الشعر الأصفر؟ لماذا يشطب عليها؟ لماذا يشطب على ذلك الرجل؟ من ذلك الطفل؟

لم يطُل تفكيرها؛ لأن الأستاذة «نيفين» كانت قد وصلت، قابلتها «نسرين» بحفاوة أكبر من المعتاد، حتى إنها فهمت أن هناك خطبًا ما، كانت «نيفين» شابة سمراء بسيطة، متفوقة في دراستها العليا وماهرة في عملها، قالت لها «نسرين» بلهفة:

- أريد أن أخبرك بشيء مهم قبل أن تبدئي معه.

وأخبرتها في عجالة عن الحادث، ردت عليها «نيفين» على الفور:

- أنا لا يمكنني أن أحكم على التحليل النفسي للصور، هذا أمر يحتاج إلى متخصص، لكني سأحاول أن أحصل عليها أو أقوم بتصويرها لعرضها على الطبيب النفسي.

هزَّت «نسرين» رأسها في رضا، وظلت طول فترة الجلسة منتظرة في قلق، تحاول أن تشغل نفسها حتى تنسى، لكن كل ما كان يشغلها في الحقيقة تلك الرسمة، ظلت على هذا الحال حتى انتهت الجلسة ورأتها تنزل إليها، انتفضت واقفة من على الأريكة التي كانت عليها وسألتها بلهفة:

- هل حصلتِ عليها؟

هزت «نيفين» رأسها نافية وابتسامة شاحبة على وجهها.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

استطردت «نسرين» سائلة إياها بقلق:

- هل حدث شيء ما؟

تحشرج صوت «نيفين» وهي ترد عليها:

- لقد كانت استجابته اليوم سيئة، لكن هذا لا يهم؛ فمعدل الاستجابة يجب ألا يكون مرتفعًا في الجلسات كلها، الأهم من ذلك أنه فهم أنني أحاول الحصول على تلك الرسمة أو مشاهدتها.

فسألتها «نسرين» بقلق:

- وكيف عرفتِ أنه عرف؟

أجابتها «نيفين» بخوف:

- لقد كنت أتلفَّت حولي لعلي أجدها، فأحسست به يتوقف فجأة عن التدريب وينظر إليَّ بصرامة قبل أن يقول: «لن تجدي ما تبحثين عنه».. لا أدري لماذا قالها بتلك الطريقة!

فعادت «نسرين» تسألها:

- وكيف قالها؟

تنهدت «نيفين» وحاولت أن تبتسم وهي تقول لها:

- لا يهم، إذا استطعتِ أن تحصلي عليها فقومي بتصويرها.

واستأذنت في الذهاب، فسلَّمت عليها «نسرين» وتركتها تذهب، بينما ظلت هي بمفردها تفكر فيما حدث، ربما لا يكون الأمر مستحقًّا كل تلك الجلبة والأفكار التي تطاردها، ربما تعطي الأمور أكبر من حجمها

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الحقيقي، لكن شكوكها وخوفها زادا بعد ذلك عندما اعتذرت «نيفين» عن عدم المجيء مرة أخرى، تعللت بالكثير من الحجج التي تعلم «نسرين» جيدًا أنها لا أصل لها.. هل أصبحت تخشى المجيء؟!

* * *

- للمرة الألف أقول لك إنك تعطين حكاية الرسمة تلك أكبر من حجمها بكثير.

قالها «حاتم» بضجر لزوجته التي كانت تتحدث إليه على مائدة الطعام، والتي ردت عليه بإصرار:

- أسبوع ونحن نبحث عنها ولا نجدها، لماذا أخفاها الآن؟

أجابها «حاتم» بملل:

- ربما يخاف عليها لأنه يظن أنك تريدين الحصول عليها، إنه مجرد طفل، وتعرفين حالته النفسية، خاصة بعد موت والديه في تلك الظروف.

أوشكت «نسرين» على البكاء وهي تقول له:

- أنا أخاف منه يا «حاتم»، أرجوك خذ كلامي على محمل الجد.

ابتسم «حاتم» رغمًا عنه وهو يقول لها:

- أنتِ فقط غير معتادة عليه.. بالمناسبة، أين هو الآن؟

أجابته «نسرين» وهي تشير إلى الأعلى:

- في غرفته.

فسألها «حاتم» باستنكار:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- هل تتركينه بمفرده هكذا كثيرًا؟!

هزت «نسرين» رأسها نافية وهي تجيب:

- «أم مختار» تجلس معه الآن.

ضيَّق «حاتم» عينيه كأنه يتذكر شيئًا ما وهو يقول:

- لكني أظن أني لمحت «أم مختار» في المطبخ.

فردت عليه «نسرين» بتعجب:

- وما الذي أعادها إلى المطبخ؟

ثم وقفت وسارت بضع خطوات في اتجاه المطبخ ونادت على الخادمة التي جاءت مهرولة وهي تلبّي نداء سيدتها، فسألتها «نسرين» موبِّخة:

- ألم أطلب منك المكوث مع «مازن»؟!

هزت الخادمة رأسها بعدم فهم ولم ترد، عادت «نسرين» تقول لها:

- لقد طلبت منك الذهاب للجلوس مع «مازن» وأنت خرجت من المطبخ على هذا الأساس.

ردت عليها الخادمة بتعجب:

- أنا لم أترك المطبخ منذ أن قمت بإعداد الطعام.

بدأ الغضب يظهر على قسمات «نسرين» وهي تقول لها بحدة:

- لقد رأيتك وأنت تخرجين من المطبخ للذهاب إليه.

فجأة أشارت الخادمة إلى نقطة ما خلفها وهي تقول لها بتلقائية:

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لكنه يجلس معكما يا سيدتي.

التفتت «نسرين» بسرعة خلفها لتجده يقف خلف الكرسي الذي يجلس عليه زوجها، لتطلق تلك الشهقة القصيرة ودقات قلبها تتسارع.. منذ متى وهو واقف هكذا؟! حتى «حاتم» التفت خلفه بسرعة، كيف وصل دون أن يشعر به أحد؟ قال «حاتم» للخادمة حتى يُنهي هذا الحديث الذي رآه عقيمًا:

- عودي إلى عملك يا «أم مختار».

فولَّت الخادمة وجهتها إلى المطبخ من جديد، بينما التفت «حاتم» بكرسيه نحو «مازن» الذي كان يقف بسكون وينظر إلى الأرض فقال له وهو يبتسم بحنان:

- كيف حالك اليوم يا حبيبي؟

بالطبع لم يرد عليه، فعاد «حاتم» يقول له:

- هل تأتي لتأكل معي؟

لم يرد «مازن» من جديد، وكان هذا طبيعيًّا بالنسبة لـ«حاتم» الذي استطرد:

- على العموم، لقد أنهيت طعامي.. هيا بنا نلعب معًا.

فجأة نظر «مازن» في عينيه وقال له بجدية:

- أريد مفتاح الشقة.

طريقته الصارمة وقسماته الجادة جعلت الخوف يدب في قلب «حاتم» فجأة، فسأله بشك:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- أي شقة يا حبيبي؟

أجابه «مازن» بالطريقة نفسها:

- الشقة التي قُتلت فيها «مي».

نظر «حاتم» إلى زوجته فرأى صدرها يعلو ويهبط بسبب أنفاسها المتسارعة ووجهها شاحب وهي شاخصة البصر نحو «مازن»، كان كأنه يطلب منها العون، لكنها لم تكُن في حال يسمح بذلك، حاول «حاتم» أن يبتسم وهو يقول له:

- وماذا ستفعل به يا حبيبي؟

أجابه «مازن» هذه المرة بشيء من الغضب:

- هذا ليس من شأنك، إنها حقي.

ابتلع «حاتم» ريقه بصوت مسموع واختفت الابتسامة المترددة من على وجهه وهو يقول له:

- حسنًا يا حبيبي، سوف أبحث عنه وعندما أجده سوف أعطيه لك.

فجأة تحوَّل وجه «مازن» بالكلية، ظهرت عليه أعتى علامات الغضب وقال له بغضب شديد:

- إنه في جيبك.

أحس «حاتم» بارتفاع مفاجئ في ضغط الدم وضربات القلب مع سخونة في أذنيه، لم يطُل معه الحديث والمراوغة هذه المرة، إنه بالفعل يحتفظ بمفتاح الشقة مع مفاتيحه، أخرج سلسلة المفاتيح من جيبه ففصل منها مفتاح شقة أخيه وأعطاه لـ«مازن» دون كلمة واحدة، فجأة تبدلت ملامح

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

«مازن» من جديد، عادت ملامحه إلى براءتها، أمسك بالمفتاح في سعادة كأنه يمسك بلعبة جديدة وهو يقول له:

- لا تبع الشقة يا «حاتم»، لو قمت ببيعها سوف أعرف.

وضع المفتاح في جيبه وعاد إلى غرفته، نظر «حاتم» إلى زوجته، كانت كأنها ستفقد الوعي، لم يجد «حاتم» ما يقول، وعندما حاولت هي الكلام، أشار إليها بالتوقف عن الكلام، فماذا يُمكن أن يُقال؟!

* * *

لا يدري أحد أصل الأسطورة التي تقول إن الذهاب إلى النادي يساعد على حل المشاكل والشفاء من جميع الأمراض! ستقول إنه لا توجد أسطورة تقول مثل هذا الكلام العاري عن الصحة، لكن الغريب أن الجميع يتصرف كأن ذلك واقع حقيقي.

كان يوم عطلة، وأصر «حاتم» على الذهاب إلى النادي مع زوجته، حتى هذه اللحظة لا توجد مشكلة، المشكلة أتت عندما أصر على أخذ «مازن» معهما.. قالت له «نسرين» معترضة:

- كيف سنأخذه معنا؟

أجابها «حاتم» باستفزاز:

- سوف نأخذه معنا في السيارة.

زفرت زوجته في ضيق وقالت له بغضب:

- أنت تفهم الذي أقصده من كلامي، لا تستفزني يا «حاتم».

رد عليها بهدوء وهو يكمل ارتداء ثيابه:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- أنا في الأساس ذاهب إلى النادي من أجل «مازن»، يجب أن نجعله يغيِّر جو المنزل هذا.

فقالت له زوجته في ضيق:

- يمكننا أن نتركه مع «أم مختار»، ونطلب منها أن تتأخر اليوم معه حتى نعود.

ابتسم «حاتم» بسخرية وهو يقول لها:

- «أم مختار» لا يمكنها أن تعتني بنفسها، وكما قلت لك أنا ذاهب إلى النادي في الأساس من أجل «مازن».

لم تكن زوجته مقتنعة أن الذهاب إلى النادي سوف يفيد «مازن» في أي شيء، إنه يعيش في عالمه الخاص، لكنها لم تجادله أكثر من ذلك حتى لا يبدأ في الكلام عن قسوتها مع هذا الطفل اليتيم، وأنه ابن أخيه الذي لا يمكن أن يتخلَّى عنه، وأنها هي الساحرة الشريرة.

كان النادي في نفس مجمع الفيلات الموجودة فيه فيلته؛ لذلك فلم يستغرقوا الكثير من الوقت حتى يصلوا إليه، دخلوا و«مازن» يمسك بيد عمه ويسير معه دون أن يظهر عليه أي تعبير، إلا أن «نسرين» لاحظت أنه يرمقها بكراهية، كانت ستقول لـ«حاتم» بسرعة:

- انظر، إنه ينظر إليَّ بكراهية.

لكنها عدلت عن ذلك الأمر؛ لأنها أحست أنها ستصبح مثل أطفال الروضة، بالطبع سيجد «حاتم» صديقًا له بالنادي؛ فهو من المنتظمين في حضورهم للنادي، كان «صلاح» صديقه موجودًا ومعه زوجته وابنه «سامر»، كان «سامر» في مثل عمر «مازن» تقريبًا، ولد نحيف وسمج

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

إلى أقصى درجة، ولد من النوع الذي يجعلك تكره الزواج والإنجاب، بمجرد أن جلسوا جميعهم مع بعضهم البعض واستقر الأمر بـ«مازن» على كرسي وعيناه على حذائه، بدأ «سامر» في مضايقته، لا تدري هل هذه هي طريقته في اللعب أم أنه يقصد مضايقته:

- هيا لنلعب معًا.

قالها «سامر» لـ«مازن» وهو يشده من يده، وذلك الأخير لا يحرك ساكنًا ولا ينظر إليه من الأساس، فيستطرد:

- قُم أنت بعمل دور اللص، أنت تشبه اللصوص.

فتصرخ فيه أمه:

- عيب يا ولد.

بينما يبتسم والده ابتسامة شاحبة ولا يتدخل ليكمل حديثه مع «حاتم»، فيستطرد «سامر» باستفزاز:

- لماذا تشبه الفتيات؟

من جديد تصرخ فيه والدته:

- عيب يا ولد، تعالَ هنا.

وتقترب منه لتقول له كلمات في أذنه بصوت منخفض، فيعود «سامر» إلى «مازن» ويقول له بتحدٍّ:

- أمي تقول لي أن أعتذر لك لأنك مريض.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

كادت الأم تلطم على وجهها بسببه، بينما أحس «سامر» بالانتصار؛ لأن «مازن» رفع رأسه بالفعل، لكنه لم يرفعها ليلعب مع «سامر»، بل رفعها ليقول لعمه:

- أريد الذهاب إلى الحمام.

فقام «حاتم» على الفور ليوصله إلى الحمام، فقال «سامر» ساخرًا:

- لا يستطيع الذهاب إلى الحمام بمفرده!

فصرخت فيه أمه من جديد:

- عيب يا ولد!

لم يلاحظ أحد نظرة «مازن» له إلا «نسرين»؛ لأن تركيزها كله في الأساس كان منصبًّا عليه، ذهب «حاتم» معه وانتظره عند باب الحمام، بينما دخل هو وأغلق الباب عليه، طال انتظاره بالخارج، حتى إنه قلق عليه، فطرق الباب ولم يتلقَّ إجابة، طرق مرة أخرى.. ولمَّا لم يتلقَّ إجابة استبدَّ به القلق فحاول فتح الباب، لكنه وجد أنه مغلق بالمزلاج من الداخل، أصابه الجنون ودار حول نفسه كأنه يبحث عن شيء ما يكسر به الباب، لكنه فجأة سمع صوت المزلاج ليُفتح الباب ويجده واقفًا أمامه بهدوء، سأله عمه بلهفة:

- هل أنت بخير؟

لم يرد «مازن» ولم يبدُ عليه أنه سمع من الأساس، خرج مع عمه ليلاحظا أن هناك جلبة وأشخاصًا يجرون هنا وهناك، نظر «حاتم» بسرعة إلى حيث كانوا جالسين فلم يجد أحدًا من الجالسين معه، استوقف أحد رجال الأمن وسأله عن سر هذا الهرج فأجابه بقلق:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- يقولون إن هناك طفلًا سقط في حمام السباحة الكبير وكاد يغرق.. لا أدري ما الذي جعله يذهب إلى هناك وكيف مر دون أن يراه أحد رجال الأمن! الحمام الكبير نقوم بصيانته هذه الأيام.

سأله «حاتم» بقلق:

- هل حدث مكروه للطفل؟

هز رجل الأمن كتفيه وهو يجيب:

- لا أدري.

ثم أشار فجأة إلى زحام قادم من ناحية الحمام:

- أظنه هو الطفل المحمول القادم هناك، أظنه بخير.

نظر «حاتم» حيث أشار الحارس، وكان الطفل بالطبع هو «سامر»، جرى على «صلاح» الذي كان يحمله وهو منفعل وسأله بتوتر:

- ما الذي حدث؟

أجابه «صلاح» بغضب:

- كاد الولد يموت، أنا لن أسكت على هذا الإهمال.

حاول «حاتم» أن يهدئه، لكنه كان غاضبًا لدرجة لا يمكن معها التفاهم معه، كان «سامر» يرتجف في صمت وهو ملفوف في منشفة كبيرة، أمه تبكي ووالده كالثور الهائج، لاحظ «حاتم» أن الولد يرتجف في صمت ولا يتحدث، ربما تكون الصدمة، لكنه كان ينظر إلى شيء ما برعب، فالتفت «حاتم» إلى النقطة التي ينظر إليها «سامر»، ليجد «مازن» يقف في سكون، وعلى وجهه ابتسامة انتصار هادئة.

Mktbtk.uk

* * *

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

على الرغم من وجود شركة حراسة خاصة تقوم بحراسة التجمع السكني القاطن به «حاتم»، فإن هناك عدة حوادث سرقة حدثت، ما أدى بالقاطنين إلى الاعتماد على أنفسهم في حراسة ممتلكاتهم الخاصة، تعاقد معظم أصحاب الفيلات مع شركات الحراسة ليحضروا لكل فيلا رجل أمن أو رجلين خاصين بالفيلا، كذلك فعل «حاتم»، لكنه أضاف أيضًا شراء كلب حراسة قوي وضخم من فصيلة «البول ماستيف»، وهو شبيه بـ«البول دوج»، له أنف صغير وخدان متدليان، هذه الفصيلة من الكلاب تكون قوية وتُستخدم في الحراسة بشكل خاص؛ لأنه لا يعتاد على الغرباء بسهولة.

كان «مازن» في المدرسة عندما وصل الكلب، بالطبع توليه المدرسة رعاية خاصة لحالته النفسية، نزل من حافلة المدرسة لتتسلمه «أم مختار» وتدخل به، ما إن رآه الكلب حتى بدأ بالنباح والتحرك بعصبية كأنه يريد قطع السلسلة المربوط فيها، قالت الخادمة لـ«مازن» على الفور:

- لا تخَفْ، إنه مربوط.

الغريب أن «مازن» لم يلتفت إليها أو إلى الكلب من الأساس، ظل الكلب على حالة الهياج تلك حتى اختفى «مازن» في الداخل، بالطبع يمكن أن نُعزي الأمر لأنه يعتبر «مازن» غريبًا وهذه هي أول مرة يراه فيها.

لكن الأمر تكرر في اليوم التالي والذي بعده، الكلب لم يعد يرى «مازن» إلا ويصيبه الهياج الشديد، ولا يهدأ إلا بعد أن يختفي من أمامه، و«مازن» لا يوليه أي اهتمام، حتى كان ذلك اليوم.

كان «حاتم» بالفيلا وقد فكَّ السلسلة عن الكلب وبدأ في اللعب معه، بينما كانت زوجته تراقبه من بعيد وتضحك في مرح، وصلت الحافلة في ميعادها المعتاد، دخل «مازن» يتقدَّم الخادمة في هدوئه المعتاد، عندما رآه

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الكلب، هذه المرة هو غير مقيَّد، زمجر بغضب وترك كل شيء وجرى بسرعة نحو «مازن»، صرخت الخادمة وابتعدت بضع خطوات بينما شهقت «نسرين» برعب، وجرى «حاتم» خلف الكلب يحاول الإمساك به، لكنه كان قد ابتعد وبات وصوله إلى «مازن» واقعًا لا محالة.

التفت «مازن» إلى الكلب دون أن يتحرك خطوة واحدة، فقط حملق فيه بعينيه المفتوحتين عن آخرهما، ليتوقف الكلب ويتجمد في مكانه ويبدأ في العواء، يتقدم «مازن» نحوه خطوة أخرى فيصمت الكلب ويجلس في مكانه.

كل شيء حدث في لحظات، فرح «حاتم» لأن «مازن» لم يصبه مكروه، لكن طريقة نجاته أثارت ريبتهم، بالطبع لم تترك «نسرين» ذلك الأمر يمر هكذا دون أن تعلق عليه.. ما أثار شكوكهم أكثر من ذلك، أن الكلب مات بعد أيام.

* * *

كانت مطفأة السجائر التي على المكتب أمام «كرم» قد امتلأت عن آخرها، وعندما حاول أن يطفئ عقب السيجارة الذي في يده وجد أنه يطفئها فوق عقب آخر بالمطفأة وهو يقول لـ«حاتم» بتوتر:

ـ ماذا تريد أن تقول من تلك الحكايات كلها يا أستاذ «حاتم»؟

كان صوت «حاتم» يرتجف ويده ترتعش وهو يرد عليه:

ـ ذلك كله كنت أحاول تجاهله، لكن الأمر تطوَّر أكثر من ذلك بكثير.

ثم استطرد وهو يبتسم ابتسامة أقرب لمن فقد عقله:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لقد صار الأمر أكثر وضوحًا بعد خروج والدي من المستشفى ومجيئه للعيش معي في الفيلا.

سأله «كرم» بتردد:

- وما الذي حدث؟

فشرد «حاتم» ببصره في كوب الليمون القابع أمامه، وبدأ في إكمال حكايته.

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

مكتبتك

مكتبتك لعمل الكتب اندرويد ورفعها على جوجل بلاي

كتب معرض الكتاب على موبايلك اثناء المعرض

يمكنك طلب اي كتاب على جوجل كتب فقط بربع الثمن

ان اردت رفع كتاب لك يمكن ان ترسل لنا على صفحتنا على فيس بوك (مكتبتك) او (Mktbtk.uk)

يوجد ايضاً افلام ومسلسلات بدون اعلانات على موقعنا

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الجَد

يجلس بجانبها في ذلك الشارع الهادئ بالقرب من النيل، أعمدة الإنارة تُخرج ضوءًا خافتًا وكأنها تحتضر، بالإضافة إلى تلك الأشجار وارفة الظلال، فتكون النتيجة أن الشارع مظلم تقريبًا..

يبدو أن هناك مشكلة ما لأنها تتحدث بحدة وهي تقول له:

- أنا أضحي بكل شيء من أجلك يا «مختار».

فيطرق ببصره إلى الأرض ولا يرد، يشعر بالملل من هذه الأسطوانة التي تديرها له كل فترة زمنية، وكأن هناك جدولًا تتبعه لتشغيلها، استطردت هي بفخر وهي تبعد بصرها عنه:

- لقد رفضت الكثير من العرسان من أجلك، لكنك لا تتقدم خطوة واحدة.

هذه المرة رد عليها «مختار» وهو يميل بعض الشيء عليها:

- أنا أعمل ليل نهار من أجلك يا «مرام»، أنتِ تعرفين صعوبة إيجاد عمل مناسب في هذا البلد بالأخص لخريج حديث التخرج مثلي.

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

هزت «مرام» رأسها بعدم اقتناع وهي تقول له:

- لكن والدي بدأ يشعر بالقلق؛ لأن فترة الخطوبة طالت.

زفر «مختار» بصبر نافد وسبَّ والدها في سره، لكنه استطاع أن يكتم انفعاله ليقول لها وهو يحاول أن يبدو بمظهر المتفهِّم:

- عنده حق، لكنها الظروف.

ثم بدأ في عمل حائط الدفاع الذي يقوم به كل مرة تشغِّل فيها «مرام» هذه الأسطوانة، فحاول أن يبدو حزينًا وهو يقول لها بصوت شجي والدموع تترقرق في عينيه:

- ليس ذنبي أنني وُلدت فقيرًا لأسرة متواضعة، ليس ذنبي أنني أحببتكِ وأتمسك بكِ، لو كنت تريننى عقبة في حياتك فلتتخلصي مني.

فتترقرق الدموع في عينيها وتقترب منه وهي تقول له:

- لو لم أكن أحبك يا «مختار» لما صبرت تلك الفترة كلها.

كانت الفترة التي تتحدث عنها «مرام» هي ثلاثة أشهر، وكان والدها، الذي يقلق عليها، قد تركها حتى الحادية عشرة مساءً مع «مختار» الذي لم يكتفِ منها بالتربيت على كتفه بل أخذ منها قبلة سريعة على خده حتى يسامحها على كلامها له.

- كل شيء خلقناه بقدر.. فعال لما يريد.. يقف ويرعى بقدرة الرب.

ظن في البداية أن هناك شخصًا ما قام بتشغيل إذاعة القرآن الكريم فوق رأسه مباشرة، لكنه وجد فجأة ذلك الظل يقف أمامه مباشرة، الضوء الخافت لم يسمح له بالتحقق من ملامحه، فقط لاحظ تلك المصيبة اللامعة في

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الظلام، على الفور صرخت «مرام» كأنها كانت منتظرة لقدوم السفَّاح وتتوقع وصوله في أي وقت، ربما تكون هذه مزية في النساء، وهي القدرة على الصراخ على الفور، لكن الشارع لم يكن به أحد تقريبًا، لم يكن به غير ذلك الرجل الذي يقوم ببيع الشاي بالإكراه للجالسين حتى يتركهم في حالهم، ذلك الرجل الذي لا يحب أن يُدخل نفسه في مشاكل مع أحد..

- هذا قدرك يا فتى.

لم يشعر «مختار» بالألم بقدر شعوره بالصدمة والدهشة، تجلس مع خطيبتك أو الفتاة التي تنوي خطبتها لتوبِّخك على تأخيرك، فيأتي شخص ما لا تعرفه ليطعنك في صدرك دون مقدمات، بدأت «مرام» بالصراخ كأنها عربة إسعاف سيحصل قائدها على وسام الجمهورية لو أوصل المريض في أقصر وقت ممكن، أمسك ذلك الشيء بتلابيبها، كان ينوي أن يضربها حتى تسكت، لكنها بمجرد أن أمسك بها فقدت الوعي فتركها، كان صانع الشاي ينظر إليهم من بعيد، وعندما أحس بجدية الأمر اختبأ خلف كومة من الصناديق الورقية ليراقب ذلك الشيء وهو يمر من أمامه فيتوقف أمام كومة الصناديق فينظر إليها وهو يقول:

- هذا ليس يومك، فلا تخَفْ.

بالطبع لم يخرج الرجل وهو يتقافز فرحًا ليشكره ويسلم عليه، بل ظل في مكانه يرتجف حتى ابتعد ذلك الشيء، بمجرد اختفاء ذلك الرجل عن بصره جرى صانع الشاي حيث كان يجلس «مختار» ليجده مضرجًا في دمائه وكوب الشاي الذي اشتراه منه كما هو لم يمسسه، كان يبدو ميتًا، الأمر لا يحتاج إلى كبير الأطباء الشرعيين حتى يتأكد من موته، لكن «مرام» كانت على قيد الحياة وإن كانت ترتجف مصدومة، وسيكون عليها أن تتحمل الرحلة التي ستكون عليها اجتيازها مع المحققين.

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

* * *

- لقد لوحظ على «مازن»، وهو في سن الرابعة، أنه يتكلَّم بصعوبة، عندما ذهبوا به لطبيب تخاطب، وبعد عدة جلسات، طلب منهم عرضه على طبيب أمراض نفسية، «مازن» مصاب بالتوحُّد.. يحب العزلة على الرغم من أن والدته قالت لي إنه كان يكره الجلوس بمفرده.. لكن فجأة ظهرت عليه علامات التوحد.. أحيانًا يقوم بردود فعل عنيفة بلا مبرر.

فقال لها «كرم» وكأنه قد أمسك أول الخيط:

- إذًا، يمكنه أن يقتل؟

* * *

الأجداد يكون لوجودهم مذاق خاص، وكذلك الأحفاد.. أما الآباء فيتحولون، مع الوقت، إلى مصدر للمال كأنهم ماكينة سحب النقود، وكما يقولون في الأمثال فلا يوجد أعز من الابن إلا ابن الابن.. خرج «شاكر» من المستشفى بعد أن دخله مصدومًا لوفاة ابنه «ممدوح»، كان «حاتم» وزوجته هما بالطبع من ذهبا لإحضاره، وقد اتفق «حاتم» مع والده على أن يأتي للعيش معه، بالطبع لم يعارض الرجل، هو لم يعد يقوى على العيش بمفرده، وكذلك يريد أن يكون بالقرب من «مازن»، حفيده الذي تبقَّى له من هذه الدنيا.

- أتمنى أن أظل بجانبه أطول فترة ممكنة.

قالها «شاكر» لابنه وهو في السيارة، وكان يتحدث عن «مازن».. فردَّ عليه ابنه الذي لم يكن يقود السيارة؛ لأنه كان قد جاء بسيارة والده الفارهة ومعه سائق والده:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- سوف تلعب معه كذلك، لقد تحسَّن كثيرًا.

نظرت «نسرين» إلى زوجها وكأنها تقول له: «كُفَّ عن الكذب».. بينما استطرد هو ليطمْئِن والده:

- إنه منتظم في الذهاب إلى المدرسة، سوف تفرح بشدة عندما تراه.

ابتسم «شاكر» في رضا، لكنه ما لبث أن ترقرقت الدموع في عينيه وهو يقول:

- لا أستطيع أن أنسى «ممدوح»، لم يعد لدينا غير «مازن».

ابتلع «حاتم» كلمات والده التي كانت شديدة القسوة عليه، بينما حاولت «نسرين» ألا يظهر عليها أي رد فعل وكأنها لم تفهم كلمات «شاكر» الجارحة، رد «حاتم» وهو يشعر بالاستياء؛ لأن والده تكلَّم في هذا الأمر أمام السائق:

- ربنا يعوض علينا كلنا يا أبي، المهم أن نقف على أرجلنا من جديد.

هز والده رأسه في حسرة وهو يقول بيأس:

- وهل يمكن أن أقف مرة أخرى بعد هذه الضربة القاصمة؟!

أجابه «حاتم» بثقة:

- بالتأكيد يا أبي، الجميع في حاجة إليك، المصنع في حاجة إليك، الكل في انتظارك، لا يمكننا عمل أي شيء من دونك.

كان «حاتم» يحاول أن يرفع من معنوياته، ويبدو أنه قد نجح؛ فقد التمع الأمل في عينيه وهو يقول له:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- عندك حق يا «حاتم»، يجب أن أعود للعمل من جديد.

ثم سكت قليلًا قبل أن يضيف بأمل:

- على الأقل من أجل «مازن».

ولم يلحظ «شاكر» الامتعاض الذي ظهر على وجه «نسرين» التي كانت تجلس إلى جواره وقد شعرت بتقلصات في معدتها ووخزة عصبية في جانب وجهها الأيمن لمجرد ذكر اسمه.. «مازن».

* * *

الغرفة التي تم تجهيزها لاستقبال «شاكر» كانت في الدور الأرضي للفيلا، غرف الدور الأرضي ضيقة، لكنه فضَّل المكوث في الدور الأرضي حتى لا يضطر للصعود إلى الدور العلوي وهو ما زال يشعر بالوهن.

كانت كل سبل الراحة متوافرة بالغرفة، مع أن كل شيء موجود بالفيلا، إلا أن «حاتم» أراد لوالده أن يشعر بالخصوصية في غرفته الجديدة، فجعل بالغرفة ثلاجة صغيرة وتلفازًا كبيرًا معلقًا على الحائط، هذا بالطبع بالإضافة إلى الفراش وأريكة صغيرة وخزانة الملابس.

وصلت السيارة ففتح الحارس الجديد بوابة الفيلا وهو يؤدِّي التحية لمن بداخلها بعد أن رأى «حاتم» بالسيارة، وقفت السيارة أمام باب الفيلا في الطريق المغطى بالقرميد الموازي لحديقتها، نزل «شاكر» بسرعة وهو متلهف لرؤية «مازن»، توجه إلى الفيلا دون أن ينتظر ابنه الذي أمر السائق بإحضار حقائب والده.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

كان باب الفيلا مفتوحًا كأنه ينتظر قدومه، دخل «شاكر» يتبع ابنه وزوجة ابنه، دار ببصره في الفيلا كأنه يبحث عن «مازن» قبل أن يسأل «حاتم»:

- أين «مازن» يا «حاتم»؟

نظر «حاتم» في ساعته قبل أن يجيب:

- من المفترض أن يكون في غرفته مع الخادمة.

ثم صعد الدرج المؤدي إلى الدور العلوي جريًا ليعود بعد لحظات ممسكًا بيد «مازن» الذي كان كعادته لا يبدو عليه أي رد فعل، تهللت أسارير «شاكر» فور رؤية حفيده واقترب منه والدموع تترقرق في عينيه، مال عليه ليقبله وهو يقول له:

- كيف حالك يا «مازن»؟

لم يجبه «مازن» وكأن الرجل يتحدث إلى ابن الجيران، فأمسك «شاكر» بيده وقاده إلى أقرب أريكة فأجلسه إلى جواره وهو يقول له:

- هل تعرف يا «مازن»؟ أنا أحبك أكثر من أي شيء في الدنيا.

لم يبدُ على «مازن» أنه يسمعه، فاستطرد «شاكر» مرة أخرى:

- سوف ألعب معك ولن أتركك بعد اليوم.

لن يكون جديدًا أن نذكر أنه لم يرد عليه هذه المرة أيضًا، كان «شاكر» قد أجلس «مازن» إلى جواره ونظر إلى «حاتم» نظرة متسائلة كأنه يقول له:

Mktbtk.uk

- هل حالته تحسنت هكذا؟!

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

فجأة بدا على «مازن» أنه سيقول شيئًا ما أو يُبدي رد فعل، هز رأسه في حسرة وبدت على قسمات وجهه أعتى علامات الأسى قبل أن يقوم واقفًا ويقول بحزن:

- لقد تأخرت كثيرًا يا جدي، تأخرت كثيرًا.

سأله شاكر بدهشة:

- تأخرت على ماذا يا «مازن»؟!

لكن «مازن» ظل يردد بحسرة وهو في طريق عودته إلى غرفته:

- تأخرت كثيرًا يا جدي.

حتى صعد الدرج وتركهم في مزيج من الدهشة والقلق.

* * *

كان «شاكر» يجلس في صالة الاستقبال الخاصة بالفيلا، يُمسك بالجريدة الورقية يتصفحها، واضعًا عوينات القراءة الخاصة به على طرف أنفه بالطريقة المميزة لواضعي عوينات القراءة، وعلى الرغم من أن كل الأخبار صار الحصول عليها سهلًا عن طريق الشبكة العنكبوتية، فإن «شاكر» كان ولا يزال يُفضل الجريدة الورقية لأنها تُشعره بالأهمية والخطورة.

يقرأ في الجريدة ويقلّبها في اهتمام كأنه يقرأ الأخبار لأول مرة، على الرغم من أنه قرأها على الشبكة العنكبوتية منذ قليل، وعلى الرغم أيضًا من أنها الأخبار نفسها تقريبًا كل يوم، ما يتغير فقط الأسماء المعلنة في صفحة الحوادث والوفيات وأسماء الأفلام المذاعة.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

كانت «نسرين» في المطبخ تقوم بعمل شيء ما، بينما كانت «أم مختار» تقوم بترتيب غرفة «مازن» الذي كان من المفترض أنه بها، الهدوء والصمت يخيِّمان على المكان، عندما سمع «شاكر» ذلك الصوت الذي جعله ينتفض ويقوم واقفًا في مكانه، كان صوت انفجار ضخم قادمًا من المطبخ، وقف «شاكر» لنصف دقيقة يرتعش قبل أن يهرول ناحية المطبخ، ليقابله ذلك الدخان فيصرخ بقلق:

- «نسرين»! هل أنت بخير؟

خرجت «نسرين» من بين الدخان تسعل بقوة واضعة يدها على فمها وهي تقول له:

- لا تقلق يا عمي، أنا بخير.

فعاد الرجل يسألها بقلق:

- ما الذي حدث؟

أجابته «نسرين» وهي تجاهد لتحصل على بعض الهواء:

- لا أدري، لقد شردت بعض الوقت، لأجد جهاز «الميكروويف» قد انفجر.

ربت «شاكر» على كتفها وهو يقول لها:

- لا يهم، المهم أنك بخير.

مكتبتك

فجأة صرخ «شاكر» وهو يشير إلى ذلك الشيء الذي يتحرك من وسط الدخان، نظرت «نسرين» حيث أشار وتملكتها الدهشة عندما رأته، كان

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

«مازن» يخرج من المطبخ في هدوء، وضع «شاكر» يده على كتفه وهو يقول له بقلق:

- ما الذي أتى بك إلى هنا يا «مازن»؟

أكمل «مازن» طريقه كأنه ليس هناك من يتحدث إليه، فاستطرد «شاكر» بغضب:

- كيف تركته «أم مختار» ينزل هكذا دون أن تلاحظ؟

ثم عاد إلى الصالة بسرعة تتبعه «نسرين» تحاول أن تهدئه، لم يجدا «مازن» فاعتقد «شاكر» أنه عاد إلى الأعلى، على الرغم من أن الفارق الزمني بين ذهابه وذهاب «شاكر» في أثره لم يكن كافيًا لذلك، نادى «شاكر» على الخادمة بغضب فجاءته مهرولة فزعة وهي تقول له:

- نعم يا سيدي؟ ما الذي حدث؟

أجابها «شاكر» بغضب:

- هل أنت صماء؟ ألم تسمعي صوت الانفجار؟

ردت عليه الخادمة بدهشة:

- أي انفجار يا سيدي؟

أشاح الرجل عنها بوجهه وهو يقول لها:

- لا يهم أي انفجار، المهم ما الذي جعلك تتركين «مازن» ينزل إلى الأسفل دون أن تخبرينا؟

أجابته الخادمة بعدم الفهم نفسه:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- «مازن» موجود في غرفته لم يتركها.

عاد الرجل يقول بغضب وهو ينظر إلى «نسرين»:

- لقد رأيناه خارجًا من المطبخ بعد الانفجار بأعيننا، كان من الممكن أن يُصاب.

لم تعرف الخادمة بماذا ترد، لكن الحيرة بدت عليها فقالت لها «نسرين» وهي تحاول أن تهدئ حماها:

- اذهبي أنتِ الآن يا «أم مختار»، وحاولي أن تراقبي «مازن» أفضل من ذلك.

فهزَّت الخادمة رأسها بعدم اقتناع وذهبت، بينما أجلست «نسرين» حماها وهو يقول بغضب:

- لو كانت لا تستطيع أن تقوم بعملها كما يجب فلنغيِّرْها.

فابتسمت «نسرين» ابتسامة شاحبة وهي تفكر في شيء آخر غير الذي يُفكر فيه الرجل تمامًا.

* * *

فكر «كرم» قليلًا ثم قال:

- لعلَّه يريد اللعب معي.

فقال له «سعد»:

- لأن اسمك جميل! لا أظن الأمر كذلك، هذا الولد فيه شيء غريب، أنت تعتقد أنني أجلس هناك لمراقبة «جمالات».. أنا لا أنكر أن هذا الأمر

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

يأخذ جانبًا كبيرًا من الوقت.. لكني أيضًا أراقب الطفل.. هذا الطفل ليس طبيعيًا.

* * *

- ماذا تريدين يا «نسرين»؟

سأل «حاتم» زوجته في يأس بعد ساعات من الكلام وهي ممددة بجانبه على الفراش، أجابته وقد أحست أن كثرة كلامها أتت بفائدة:

- نُحضر شيخًا ليرى «مازن» ويحكم هو إن كان ظننا صحيحًا أم لا.

اعتدل «حاتم» على الفراش فجأة وقال لها بغضب:

- أي ظن؟ أنا لا أظن أي شيء فيه.

جلست هي الأخرى على الفراش وقالت له بتحدٍّ:

- أنت تعرف الذي أقصده يا «حاتم».

رد عليها «حاتم» بحدة:

- لن أحضر أحد الدجالين لعلاج «مازن»، إنه مصاب بمرض نفسي ليس إلا.

فردت عليه وهي توشك على البكاء:

- أنت تعرف أن الأمر ليس له علاقة بمرضه النفسي، أنت تشعر بما أشعر، لكنك لا تريد الاعتراف بذلك، أنا لم أعُد أستطيع العيش معه.

قال لها «حاتم» بيأس:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- وماذا أفعل يا «نسرين»؟ لا يمكنني أن أتخلى عنه.

ردَّت عليه بسرعة:

- أنا لا أقول لك أن نتخلى عنه، فقط نريد أن نتأكد من ظننا.

تردد «حاتم» قليلًا كأنه يفكر قبل أن يقول:

- لكن معظم من يعمل في هذا المجال يتضح أنه محتال في النهاية.

ردت عليه زوجته بطريقة محفِّزة:

- لا تخَف، «هند» صديقتي تعرف شيخًا ثقة، جرَّبه أحد أقربائها من قبلُ.

حك «حاتم» رأسه كأنه يفكر قبل أن يقول:

- وبماذا سأخبر والدي؟

أجابته «نسرين» كأنها كانت تحضر الإجابة:

- أخبره أننا جئنا به ليحفظه القرآن، جميع العائلات الكبيرة تقوم بعمل ذلك هذه الأيام، إحضار الشيوخ بالمنازل أصبح آخر صيحة.

زفر «حاتم» في ضيق وقال لها باستسلام:

- أرجو أن يمر هذا الأمر على خير.

طمأنته زوجته ولم يُرِد هو أن يخبرها أن ما يخيفه حقيقة رد فعل «مازن».

* * *

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

لم يكن الشيخ كما توقَّع «حاتم»؛ فهو لم يكن يرتدي القميص الأبيض الطويل أو له لحية طويلة بيضاء ويرتدي طاقية بيضاء فوق رأسه، بل كان شابًّا نحيفًا يرتدي بنطالًا وقميصًا قصيرًا وله لحية خفيفة، نظر إليه «حاتم» من رأسه حتى حذائه وتذكر المأذون الذي عقد زواجه، لم يكن هو الآخر يرتدي الملابس التي يظهر بها في الأفلام، أين يا ترى من الممكن أن يجد المرء هؤلاء؟

مال على زوجته وقال لها هامسًا:

- إنه لا يبدو قادرًا على إخراج أي عفريت.

ردت عليه زوجته وهي تلكزه:

- وكيف يبدو من يمكنه إخراج العفاريت؟!

تقدما نحو الشاب فسلَّم «حاتم» عليه، بينما أحجمت «نسرين» لظنها أنه لا يصافح النساء، كان الشاب، الذي يُدعى «حمدي»، يتجنَّب النظر إلى «نسرين» ويجعل كل كلامه في ناحية «حاتم» الذي قال له بعد السلام:

- تفضل بالجلوس يا أستاذ «حمدي».

لم يكن «حاتم» يستسيغ أن يقول له الشيخ «حمدي»؛ فمظهر الرجل ليس بمظهر الشيخ الراسخ في الوجدان الجمعي للمصريين، أشار «حاتم» لـ«نسرين» أن تطلب من الخادمة إحضار مشروب للرجل، لكنه قال معترضًا:

- أريد في البداية أن أرى الطفل.. هو طفل، أليس كذلك؟

هز «حاتم» رأسه وهو يجيب:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- «مازن» ابن أخي، على العموم هو في انتظارك بالأعلى.

فأشار إليه «حمدي» أنه يريد رؤيته في البداية فقاده إلى الأعلى، كان يريد أن يظل معهما، لكن الرجل أصرَّ على أن يتركهما وحدهما، تردد «حاتم» لكنه وافق في النهاية، نزل إلى زوجته التي سألته بلهفة:

- ماذا فعل؟

أجابها «حاتم» بعدم فهم:

- من فعل ماذا؟

أجابته وهي تزفر في ضيق:

- الشيخ «حمدي»، ماذا فعل مع «مازن»؟

رد عليها بضجر:

- لقد صعد للتو ولم يرضَ أن أبقى معه.

قطع حديثهما خروج والده من غرفته يسأل عن «مازن» فأجابه «حاتم» بسرعة:

- مع الشيخ الذي يحفِّظه القرآن.

تهللت أسارير الرجل وهو يقول:

- حسنًا، هذا شيء جميل.

جلس «شاكر» معهما فلم يستطيعا التحدُّث بحرية، حتى أحسوا بحركة قادمة من الأعلى، التفتوا جميعًا ليجدوا «حمدي» ينزل الدرج ومعه «مازن»، كان «حاتم» يتوقَّع أن يخبره الرجل بأن «مازن» ملبوس ويحتاج

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

إلى كثيرٍ من جلسات العلاج، لكن ما حدث كان على العكس من ذلك؛ فقد قال له الرجل فور رؤيته:

- «مازن» ما شاء الله طبيعي.

قاطعه «حاتم» لأنه لم يكن يريده أن يتحدث أمام والده الذي اعتقد أن الرجل يتحدث عن الحفظ، أمسكه «حاتم» من يده وخرج به إلى الحديقة حتى يتحدث معه بأريحية، بينما وقف «مازن» مع جده - الذي كان يحاول أن يلفت انتباهه - وزوجة عمه.

كانت «نسرين» تشعر ببعض الراحة؛ لأن ظنها يبدو أنه لم يكن في محله، خاصة أن «مازن» يبدو عليه السعادة على غير المعتاد، حتى إنه اقترب منها وقال لها شيئًا ما همسًا في أذنها، لكن ذلك الشيء جعل ملامحها تتغيَّر ومعدتها تتقلَّص، عندما يعود «حاتم» سوف تخبره أنه قال لها هامسًا:

- كان ذلك خطأً فادحًا.

وابتعد عنها مبتسمًا في هدوء وثقة.

* * *

عندما يتقدَّم الإنسان بالعمر يصيبه بعض الخلل في نظام نومه، خاصةً لو تعرض لتلك الضغوط النفسية التي تعرَّض لها «شاكر»، ولو أضفنا إلى ذلك الفترة التي قضاها بالمستشفى، فسيكون من الطبيعي النوم المتقطع الذي ينامه، ينام أحيانًا وهو جالس مع ابنه وزوجة ابنه، وأحيانًا أخرى يظل لساعات يتقلب في الفراش يستجدي النوم ولا يجيء.

تلك الليلة كان في فراشه عندما أحس كأن هناك من ينقر على زجاج نافذة غرفته، لم يُعِر الأمر اهتمامًا في البداية، لكنه بعد ذلك وجد أن الأمر

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

زاد على حدِّ التجاهل، قام من فراشه فأزاح الستائر ليجد نفسه ينظر إلى صورته في الزجاج ومن خلف الزجاج الشيش المغلق.

زفر في ضيق وعاد إلى فراشه غاضبًا؛ لأنه يعلم جيدًا أنه لن يعود للنوم بسهولة، عندما لمح ذلك الظل الظاهر من تحت عقب الباب، الظل المميز لشخص واقف أمام الباب في الردهة الخارجية، من الممكن أن يكون هناك أي شخص يمر من أمام غرفته لأي سبب، لكن الغريب أن ذلك الشخص كأنه يتلصَّص عليه، أحس «شاكر» بالخوف واقترب من الباب ببطء ليفتحه فجأة فيلمح ذلك الشيء يمر بالردهة بسرعة حتى لم تُمكِّنه من معرفة كنهه.

تملكه الخوف على الرغم من أنه لا يؤمن بتلك الأشياء، التي لا يمكن أن يقول عنها إلا أنها أشياء، تقدَّمَ قليلًا نحو الصالة، رفع بصره إلى الدَّرَج، ليجده واقفًا أعلى الدرج ينظر إليه بهدوء وثقة غريبين.

- «مازن»، ماذا تفعل عندك يا «مازن»؟!

على الرغم من الظلام، لمح «شاكر» تلك النظرة القاسية في عينيه، التفت «مازن» عائدًا إلى غرفته وجدُّه ينادي عليه حتى اختفى، لكن «حاتم» ظهر من غرفته مهرولًا ومن خلفه زوجته يفركان عيونهما و«حاتم» يسأل والده بقلق وعدم فهم:

- ماذا هناك يا أبي؟!

أجاب «شاكر» بخوف وهو يشير إلى الأعلى حيث رأى «مازن»:

- لقد كان «مازن» يقف عندك هنا الآن، لا أعرف ماذا كان يريد، لقد رأيتُ ظلًّا من تحت عقب الباب، لقد استيقظتُ على صوت نقرات على الزجاج مع أن الشيش مغلق، ما الذي حدث لـ«مازن» يا «حاتم»؟

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

نزل «حاتم» مهرولًا وقد طار النوم من عينيه فهدأ والده ليسمع منه حكايته، التي عقدت الأمر أكثر من ذي قبل.

* * *

على الرغم من أن معظم الضباط كانوا قد انصرفوا من المديرية فإن «كرم» لم يشعر بالوقت وأصر على الجلوس مع «حاتم» حتى يسمع حكايته للنهاية، استطرد «حاتم»:

- منذ تلك الحادثة والكثير من الحوادث الغريبة تحدث لأبي، لا أريد أن أذكر كثيرًا من التفاصيل حتى لا نضيع المزيد من الوقت، لكن المهم ذلك اليوم الذي دخلنا على والدي غرفته لنجده ميتًا.

اتسعت عينا «كرم» وابتلع ريقه بصعوبة وهو يسأله:

- هل مات «شاكر» بيه؟!

هز «حاتم» رأسه بالإيجاب وهو يستطرد:

- المشكلة ليست في موته، المشكلة في الحالة التي وجدناه عليها.

ارتعدت فرائص «كرم» وهو في انتظار «حاتم» الذي استطرد من جديد:

- لقد وجدناه على أرض الغرفة وعلامات الرعب على وجهه، كأنه كان يحاول الخروج زحفًا من الغرفة.

نفث «كرم» دخان سيجارته بقلق وهو يسأله:

- ومتى احترقت الفيلا؟

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

زفر «حاتم» في ضيق وهو موشك على البكاء:

- عندما قررت أن ألحق «مازن» بالمصحة من جديد.

* * *

فعاد «ممدوح» يقول له:

- حتى أستريح.. أريدك أن تعاهدني أن تتكفل بتربية «مازن» لو حدث لي أي شيء.

قال له أخوه معترضًا:

- لا تقُل هذا الكلام.

فرد عليه «ممدوح» مُصرًّا:

- عاهدني.

قالها «ممدوح» بصرامة جعلت أخاه يقول له على الفور:

- أعاهدك.

فتنهد «ممدوح» وقال له:

- لو مت الآن سأكون مستريحًا.

* * *

نظر إليه «مازن» وسأله ببراءة:

- هل ستتركني أنت أيضًا يا عمي؟

رد عليه «حاتم»:

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- بالطبع لا .. سأظل معك للأبد.

فعاد «مازن» يقول له:

- لكن الجميع تركني.

عاد «حاتم» يقول له وهو يحتضنه:

- لا تخف، أنا أحبك أكثر من أي شيء في حياتي.

* * *

معظم من يأتون للدفن يأتون مجاملة؛ لذلك وقف معظمهم ينظر في ساعته بملل، بينما وقف «حاتم» يبكي على قبر أخيه ووالده بعد دفن ذلك الأخير، كان يضع رأسه على شاهد القبر وهو يتكلم كأنه يتحدث إلى نفسه:

- أنا آسف يا «ممدوح»، لن أستطيع أن أفي بوعدي، أحيانًا تكون الأشياء فوق طاقتنا، أنا أحب «مازن»، لكني لن أستطيع أن أفي بالوعد.

- وأنا أحبك لكنك خنت العهد.

تلفَّتْ «حاتم» حوله برعب، كان ذلك صوت «مازن» الذي لم يسمعه أحد سواه.

«مازن» لم يكن معهم من الأساس.

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ليس توحُّدًا

«سميح أبو السعود».. اسمه الحقيقي «سميح مسعد»، لكن رئيس التحرير وجد أن اسمه ذلك لا يناسب مهنته كصحفي مسؤول عن صفحة الحوادث في جريدة «أنباء»، بالطبع هي جريدة ضعيفة التوزيع والانتشار، عندما تخرَّج «سميح» بقسم الفلسفة في كلية الآداب كان ينوي أن يعمل فيلسوفًا في مكان ما، لا ندري قدرة ذلك الشيطان الذي استطاع أن يُقنعه بذلك، لكنه اكتشف فور تخرُّجه أن العمل الوحيد المتاح بالنسبة له مدرس فلسفة، ومجال التدريس - كما نعلم جميعًا - الدخول فيه ليس بالأمر الهين، خاصة إن كنت ستقوم بتدريس الفلسفة التي تُدرَّس للثانوية العامة، لم يجد «سميح» غير وظيفة في هذه الجريدة عرضها عليه صديق له خريج قسم اللغة العربية، وافق «سميح» وهو يعتقد أنه سيكون مسؤولًا عن صفحة الفلسفة بالجريدة، حتى قال له رئيس التحرير بدهشة:

- مَن الأبله الذي أخبرك أن هناك صفحة للفلسفة بالجريدة؟

رد عليه «سميح» بفخر:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لكني خريج قسم فلسفة.

فقال له رئيس التحرير بلا مبالاة:

- حوادث، سوف تكون مسؤولًا عن صفحة الحوادث، يمكنك أن تقوم بالتحليل النفسي لشخصية المجرمين.

رد عليه «سميح» معترضًا:

- لكني خريج فلسفة، ليس علم نفس.

رد عليه رئيس التحرير بضجر:

- حسنًا، فلسف المجرمين.

المهم أن «سميح» قبل بالوظيفة حتى لا يضطر للعودة إلى قريته، في قريته يعتقدون أنه أصبح شخصًا شديد الأهمية في القاهرة، وهو لا يريد أن يفقد تلك الصورة التي صنعها لنفسه.

كانت مهمة «سميح» تتلخَّص في توطيد علاقته بالضباط وأمناء الشرطة وترك رقم هاتفه مع أي شخص في أي قسم شرطة يمكنه أن يُبلغه عن جريمةٍ ما، كان كل ما يفعله هو أن يجمع المعلومات عن الجرائم ويبدأ بكتابة القصة بعد أن علَّمه رئيس التحرير كيف يضيف إليها بعض الإضافات التي تجعل منها أكثر إثارة.

بالطبع كان ذلك يُتيح له كثيرًا من وقت الفراغ في انتظار المكالمة القادمة من قسمٍ ما، الذي كان يُنفقه هو في مراقبة «كريمة» زميلته التي تصر أن ترتدي ملابس ضيقة.. ربما لا تكون جميلة لكنه لم يكن ينظر إلى وجهها على كل حال، كانت «كريمة» تلاحظه وتفرح بنظراته التي كان يختلسها كلما حانت الفرصة، لم يكن هناك الكثير من الصحفيين بالجريدة

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

التي مقرها في الأساس شقة صغيرة بوسط البلد، كانت «كريمة» مسؤولة عن صفحة الفن والرياضة؛ لذلك كانت تهتم بمظهرها بتلك الطريقة اللافتة.

يجلس «سميح» كعادته ينتظر أن يتصل به شخص ما يخبره عن جريمة قتل، وبالمقابل ينشر اسمه في وسط الخبر، ما زال هناك من يشعر بالفخر إذا رأى اسمه في أي جريدة، حتى لو كانت جريدة المدرسة.

بالطبع يفضِّل معظم الناس التعامل مع الجرائد الكبيرة؛ لذلك عليه أن ينتظر طويلًا وينفق الوقت في النظر إلى «كريمة» التي كانت ترتب بعض الملفات في خزانة بغرفة المكتب، قالت له بخبث دون أن تنظر إليه:

- لماذا تنظر إليَّ بهذه الطريقة؟

كانت ترى انعكاس صورته في زجاج الخزانة التي كانت تقوم بترتيبها. أجفل «سميح» وتلعثم وهو يرد عليها:

- لا أبدًا، أنا فقط أشعر بالملل.

توقفت عن ترتيب الخزانة والتفتت إليه لتجلس واضعة ساقًا فوق الأخرى.. كانت ترتدي بنطالًا ضيقًا قصيرًا يُظهر نهاية ساقيها، لم يستطِع «سميح» منع نفسه من تأمُّل ذلك الجزء العاري من ساقيها، هي كما قلنا لم تكن جميلة، وهو يعرف ذلك، لكنه لا يدري السبب الذي يجعلها جميلة في عينيه هذه الأيام، هو يعلم جيدًا أنه لا يحبها، لكنه ربما صار يألفها ولا يستطيع قضاء اليوم من دونها، صداقتهما صارت من النوع الذي يتحوَّل إلى ارتباط في النهاية حتى لو لم تتحول إلى حب.

سألته «كريمة» وهي تؤرجح قدمها في الهواء:

- ولماذا تشعر بالملل يا أستاذ «سميح»؟

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أجابها وهو يزفر في ضيق:

- لا أدري هل قلَّت الحوادث الكبيرة أم هم من كفوا عن الاتصال بي!

ظهر التفكير على وجه «كريمة» قبل أن تقول:

- بصراحة يا «سميح»، كنت أريد أن أقول لك شيئًا ما وأخاف أن تقلق، لكن يجب أن أخبرك من أجل مصلحتك.

كانت كلماتها كفيلة بأن تزرع القلق في قلبه، فقال لها بتلجلج:

- قولي يا «كريمة» ما تريدين.

زفرت «كريمة» كأنها تشجِّع الكلمات على الخروج:

- بصراحة، الأستاذ «علام»، رئيس التحرير، غير راضٍ عن عملك.

ظهر الفزع على وجهه وهو يسألها:

- لماذا يا «كريمة»؟ ماذا فعلت؟

ابتسمت وهي تجيبه:

- المشكلة أنه يرى أنك لا تفعل أي شيء، كل ما تفعله الانتظار، يريدك أن تبحث أنت عن الأخبار، لا تنتظر أن تأتي إليك.

رد عليها «سميح» معترضًا:

- لكنه هو من علَّمني هذه الطريقة.

هزت «كريمة» كتفيها وهي تقول له بلهجة ذات مغزى:

- لا أدري، ربما يريد التخلص منك.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ظهر الامتعاض على وجهه، كان سيقول شيئًا ما لكن جرس هاتفه قاطعه، نظر إلى الرقم فوجده رقمًا غريبًا، تمنى أن يكون شخصًا ما سيخبره بوقوع حادث:

- الأستاذ «سميح»؟

لهجة متسائلة وصوت عميق هادئ متزن سلب انتباهه وجعله يرد على الفور:

- نعم، تحت أمرك.

رد عليه الصوت بالطريقة الهادئة نفسها:

- لماذا تكتب الحقيقة ناقصة؟

من الواضح أن السؤال يحتوي على هجوم عليه على الرغم من الطريقة الهادئة، رد عليه «سميح» بحدة وعدم فهم:

- ماذا تقصد يا أستاذ؟

أجابه الصوت بالهدوء نفسه:

- حادث القتل الأخير، الشاب الذي قُتل مع خطيبته، لماذا لم تنشر أي معلومات عن القاتل؟

زفر «سميح» في ضيق ورد بملل وهو لا يعرف سبب اهتمام المتصل بالقضية:

- هذه هي المعلومات التي كانت متوافرة عن القضية.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

لحظات من الصمت جعلته يعتقد أن المتصل قد أغلق الخط، لولا أنه سمع صوت أنفاسه كأنه يكتم انفعاله قبل أن يقول:

- حسنًا، سوف أغفر لك هذه الزلَّة، لكني أريد طريقةً للتواصل معك حتى أخبرك بكل التفاصيل، يجب أن يعرف الجميع الخدمة التي أقدِّمها لهم، يجب أن يعرفوا أن للقدر نائبًا يساعده.

لم يفهم «سميح» كلمة من كلام المتصل فقال له بضيق:

- يا أستاذ، إما أن تقول ما تريد وإما سأغلق الهاتف.

الصمت يخيِّم على المكالمة من جديد قبل أن يقول الرجل بالهدوء نفسه:

- أنت لا تصدِّق، من الجيد أنني تحدثت إليك الآن؛ لأن القدر أرسل إليَّ رسالة أنه يريد مني أن أوصل هذا الشحاذ إلى مثواه الأخير، سوف أخبرك بمكان القتيل الذي سيجدونه في الغد، شحاذ يبدو أنه مختل عقليًّا يجلس تحت الكوبري، أظنه لن يفتقده أحد، لا أدري أصلًا لماذا هو حي حتى الآن! لماذا يتمسك المرء بأشباه الحياة تلك؟! سوف أخبرك بكل التفاصيل، عندما تجد الحادث في الغد سوف تتأكد من جديتي.

بدأ الرجل في سرد المكان الذي يدَّعي أنهم سيجدون جثة الشحاذ فيه في الغد والطريقة التي سيقتله بها، كان «سميح» لا يدري هل هذه دعابة ثقيلة أم أن هذا الرجل مخبول أم يكون هو القاتل بالفعل!

أغلق الرجل الخط ليترك «سميح» في دهشته، عندما رأته «كريمة» على هذا الحال سألته:

- ماذا بك يا «سميح»؟ من الذي تحدث إليك؟

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أجابها وهو شارد الذهن:

- رجل يدَّعي أنه قاتل متسلسل.

بالطبع لم تكن الإجابة شافية بالنسبة لـ«كريمة» التي أنصتت حتى سمعت تفاصيل المكالمة التي يعتقد «سميح» أنها مجرد دعابة، لكن هناك جزءًا في عقله يتساءل: ماذا لو لم تكن كذلك؟!

* * *

جلس «كرم» في غرفة مكتبه، واضعًا رأسه - الذي يشعر كأن هناك من يقوم بالطرق عليه من الداخل - بين يديه، عاوده الصداع من الجديد.. وكيف لا يعاوده بعد تلك المقابلة مع «حاتم»؟! الذي تركه بعد أن بثَّ في نفسه كل شكوكه، تلك الشكوك التي كان لها مكان جاهز ينتظرها في نفس «كرم» من قبل وحاول أن يتناساها، لكنها الآن في طريقها إلى أن تصبح يقينًا، لكنه في النهاية ضابط شرطة، سيكون عليه تقديم تقرير، وأن يذكر في التقرير أن «مازن» مصاب بمس من الجن أمرٌ ليس واردًا، وإلا سيكون ذلك بمثابة نهاية حياته في العمل..

ظل يبحث عن المسكِّن الذي لم يعد يذهب إلى أي مكان من دونه، أخذ قرصين هذه المرة؛ فقرص واحد بعد هذه الجلسة الطويلة لن يفيد، لم يعد معه المزيد من السجائر، فكر في الذهاب إلى «مازن»، لكنه تردد من جديد، ما زال يخشى الذهاب إليه، لم يكن يعترف بذلك لنفسه حتى لا يزداد خوفه، لكن بعد ما سمعه اليوم من «حاتم»، صار عليه أن يعترف أنه يخشى رؤية ذلك الصبي.

تذكر «سيدة»، الخادمة التي استجوبها من قبل، وابنها «حسن»، السباك المسجون في قضية سرقة ليس لها علاقة بقضية مقتل «مي»، هل

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

يذهب إليها ليسألها من جديد؟ لكن بماذا سيفيد ذلك؟ أغلب الظن أنها ستقول ما قالته من قبلُ..

لكنه بعد تفكير طويل - وهو ما زال في غرفة مكتبه وقد انصرف معظم مَن بالمديرية - قرر أن يذهب إليها ويسألها مرة أخرى وأخيرة، لن يخسر شيئًا لو لم يستفِد منها جديدًا، لكنه سيخسر الكثير لو كانت تُخفي عنه ما يمكن أن يفيده، ويمكنه الآن أن يعرفه.

عن طريق الهاتف في مكتبه، استطاع الحصول على عنوانها من ملف القضية، فقام بعد أن بدأ مفعول المسكِّن يسري في جسده ليذهب بالصداع لبعض الوقت، نزل من المبنى ليركب سيارته ويدق هاتفه قبل أن يديرها، نظر إلى شاشته فإذا بها زوجته:

- كيف حالك يا «نسمة»؟

يسمع صوتها ترد عليه بقلق:

- كيف حالك أنت؟ لماذا تأخرت؟

يُجيبها «كرم» وهو ينظر في ساعة يده فيكتشف أنه تأخَّر بالفعل:

- آسف يا حبيبتي، لكن عندي الكثير من العمل.

تسأله «نسمة» بقلق من جديد:

- ألن تعود الآن؟

يرد عليها «كرم» في ضيق:

- نعم، ما زال عندي بعض العمل.. سأتأخر.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

تستشعر زوجته بضيقه فتصمت لبعض الوقت قبل أن تقول له بتردد:

- حسنًا، احرص فقط على سلامتك وصحتك، مع السلامة.

فلا يرد عليها «كرم» ويغلق الخط وهو شارد الذهن، يدير محرِّك سيارته ويبدأ في التحرك إلى «سيدة» التي كانت تقطن بحي شعبي فقير، يصل «كرم» بالسيارة إلى أقرب نقطة يمكنه الوصول إليها بها فينزل منها بعد أن تركها أمام أحد الأكشاك وقد أخبر صاحبه أنه ضابط شرطة حتى يهتم بسلامة السيارة.

حارة ضيقة غير ممهَّدة، بيت قديم وسلالم متهالكة، يسمع أحد الجيران وهو يصعد الدرج يسب الزمان بسبب دخول المدارس وعدم قدرته على توفير حاجيات أبنائه، يصل إلى الشقة التي يظن أنها شقة «سيدة»، كان من الواضح أن الشقة مظلمة، الزجاج المزخرف الموجود في باب الشقة يشير إلى أنها مظلمة، يطرق الباب فلا يجيبه أحد، هل غيرت مكان سكنها؟ سيكون عليه البحث عنها من جديد..

عندما همَّ بالذهاب سمع ذلك الصوت المميز لزحف الشبشب المطاطي على بلاط الأرضية، ثم صوت المزلاج يُفتح ليراها أمامه، كان يتذكَّر شكلها جيدًا عندما حقق معها المرة الماضية، كانت مسنة لكنها لم تكن على هذا الحال التي هي عليه الآن، هذا العام أضاف إلى ملامحها الكثير من الأعوام، كان يعتقد أنها لن تعرفه؛ لذلك اندهش عندما اتسعت عيناها وسألته بكراهية:

- لماذا أتيت؟ ألم يكفِك أنكم سجنتكم ابني؟

هي إذًا تتذكره وسيوفر عليه ذلك الكثير من الوقت، كانت تهاجمه كأنهم سجنوا ابنها لحصوله على جائزة نوبل في الأدب، لكنه قلب الأم الذي

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

يرفض أن يُلحق الإثم بابنها، أجابها برفق على الرغم من مهاجمتها له تقديرًا منه لحالها:

- هل يمكنني الدخول أولًا حتى نتحدث على راحتنا؟

ترددت قليلًا قبل أن تبتعد من أمام الباب لتترك له فرجة صغيرة تسمح له بالكاد بالدخول، دخل «كرم» في الشقة المظلمة فأضاءت «سيدة» النور وأشارت إليه كي يجلس على أريكة متهالكة، فجلس وانتظر حتى أتت ببطء وجلست على كرسي أمامه لتسأله بضيق:

- ماذا تريد يا «كرم» بيه؟

أجابها «كرم» برفق حتى لا يثير حفيظتها:

- أريد أن أتحدث معك عن «مازن».

نظرت إليه «سيدة» نظرة فاحصة قبل أن تقول له:

- ما دمت جئت بعد كل هذه المدة فقد حدث جديد، ألم تُغلق القضية؟

أجابها «كرم» على الفور:

- لقد حدثت بعض الأحداث الجديدة وأريد أن أسألك بعض الأسئلة.

ردت عليه «سيدة» على الفور:

- ابني، أريد ابني.

ابتسم «كرم» رغمًا عنه وهو يرد عليها:

- يا «سيدة» ابنك حصل على حُكم بالسجن، لا يمكنني أن أخرجه.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ردت عليه «سيدة» بغضب:

- هل تظنني بلهاء؟ بالطبع أعرف أنه لا يمكنه الخروج.

فعاد «كرم» يسألها بعدم فهم:

- وماذا تريدين إذًا؟

أجابته بتوسل:

- أنا ألاقي الأمرَّين في أثناء زيارتي له، أرجوك أريد أن أراه دون أن أتعرَّض لذلك العناء الذي أتعرَّض له في كل مرة، لقد كبرت سنين فوق عمري في هذه الزيارات.

هزَّ «كرم» رأسه بتفهُّم وقال لها برفق:

- ليس هذا فقط يا «سيدة»، سوف أجعلهم يسمحون لك بزيارة استثنائية.

التمعت عيناها في فرح وتهللت أساريرها، فاستطرد هو على الفور:

- لكن قبل كل شيء أريد أن أسألك عن بعض الأشياء.

اختفت الابتسامة من على وجهها وتوترت، فقال متسائلًا:

- هل يوجد شيء ما بخصوص «مازن» أخفيتِه علينا؟

لم يمتلك الجرأة الكافية كي يسألها عمَّا يدور في ذهنه مباشرة، لكنها فهمت مغزى السؤال، تنهدت في حسرة وهي تهز رأسها وتقول بخوف:

- ما دمت جئت بعد كل هذه المدة وتسأل هذا السؤال، فأنت تشك فيما شككت أنا فيه من قبل ولم أستطِع أن أبوح به لأحد، ربما لم يكن ليصدقني

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أحد، ربما كنت أخشى أن أتحدث في هذا الموضوع؛ لأن الجميع سيتهمني ساعتها بالجهل.

ابتلع «كرم» ريقه بصوت مسموع وانتظر أن تُكمل حديثها، فاستطردت هي بعد أن زفرت في ضيق وقالت بعدم فهم:

- لا يمكنني ببساطة أن أقول إنني كنت أشك في أن «مازن» ممسوس.

* * *

سأله «كرم»:

- ألم تخبر الطبيبة بملاحظتك؟

نظر إليه «سعد» باستنكار وقال:

- أخبرها بماذا؟ بأنني أظن أن ذلك الولد ممسوس؟! ماذا ستقول «جمالات» عني؟

* * *

كانت «سيدة» تعتقد، كما يعتقد الجميع، أن «مازن» مجرد طفل مُصاب بالتوحد، هي لم تكن تعرف معنى اسم المرض وكانت تعتقد أن الأمر له علاقة بكونه وحيدًا ليس له إخوة، لم يكُن من حقها أن تتحدث مع «مي» في أمورها الخاصة، كانت تريد الحفاظ على وظيفتها؛ فلم تحاول أن تتدخل فيما لا يعنيها، حتى لو بالنصيحة..

حتى كان ذلك اليوم الذي تتذكره جيدًا، يوم خرج فيه «مازن» مع والده، ولم يعد كما خرج، عاد وفيه شيء غريب، شيء شعرت به ولم

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

تفهمه، شيء جعل القشعريرة تسري في جسدها، «مازن» لم يعد ذلك الطفل البريء، والأمر ليس مجرد توحُّد..

بعد ذلك اليوم، بدأ «مازن» يتحدَّث عن «شريف»، من الطبيعي أن يتحدث الأطفال عن أصدقائهم الخياليين، لكن من الصعب أن نبتلع بسهولة أن يردوا عليهم.

* * *

أزاح «كرم» «جمالات» جانبًا فكادت تقع؛ فهو لم يصدق أن الولد يتحدث معه وقال له:

- ممن تخاف يا «مازن»؟

فقال له «مازن»:

- من «شريف».

فسأله «كرم»:

- «شريف» من؟

فأجابه «مازن»:

- «شريف» اتصل بي على هاتف ماما وأخبرني أن أفتح الباب.

فقال له «كرم»:

- وماذا فعل بعد ذلك؟

كان «مازن» قد بدأ يبكي وهو يقول:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- *أنا أحب «شريف»، لكنه قتل ماما.*

* * *

كانت «مي» تجلس كعادتها في أي ركن بالشقة، بعيدًا قدر الإمكان عن «مازن» والخادمة، لتتحدث إلى «عمرو» في هاتفها بالساعات، وكأنها مراهقة تحاول أن تُخفي كلماتها عن مسامع أهلها..

بينما «مازن» يجلس بمفرده في غرفته، كانت «سيدة» قد أنهت ما تفعله، من غسيل الصحون وترتيب المطبخ، قبل أن تعود إلى منزلها، بدَّلت ثيابها وانتظرت سيدتها حتى تُنهي المكالمة التي تظل ساعات، كانت تشعر بالضجر والملل عندما لاحظت حركة غير طبيعية في غرفة «مازن» الذي كانت تشفق عليه لحالته النفسية وعدم اهتمام أمه به، اقتربت من الغرفة وقبل أن تدخلها سمعته يقول بفرح:

- كيف حالك؟ لماذا تأخرت عليَّ هذه المرة؟

بالطبع لم تسمع ردًّا واعتقدت أنه كعادة الأطفال يتحدث إلى نفسه، فهمَّت بالعودة إلى مستقرها الذي كانت عليها أن تنتظر فيه حتى تُنهي «مي» مكالمتها، لكنها سمعت «مازن» يستطرد سائلًا:

- لماذا لا تريد عليَّ؟ هل أنت غاضب مني؟

بدأ الشك يسري في قلبها؛ فطريقة كلام «مازن» لا تنم على أنه يتحدث إلى خيال، كان كأنه يتحدث إلى شخص معه، لكنها عادت وعزت الأمر إلى كونه مريضًا، انتظرت بعض الوقت وكانت ستنصرف، لكن «مازن» عاد يقول بتوسُّل:

- أنت صديقي الوحيد، لماذا لا ترد عليَّ؟

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

شعرت «سيدة» بمزيد من الشفقة نحو الصبي، لكنها فجأة شعرت بالذعر عندما سمعت ذلك الصوت الأجش يقول له:

- أنت لم تنفِّذ ما اتفقنا عليه.

كادت تصرخ، كادت تجري لتُحضر «مي»، لكنها برد فعل سريع فتحت الباب الذي كان به فرجة صغيرة، لمحت ذلك الظل الذي اختفى بسرعة فور دخولها، لا تدري هل كان حقيقيًّا أم من وحي خيالها، سألت «مازن» بخوف:

- من الذي كان معك يا «مازن»؟

لم يرد عليها «مازن» ولم يلتفت إليها، فدارت هي حوله حتى واجهته وهي تعيد السؤال عليه، رفع إليها بصره صامتًا، لكن نظرته جعلتها تخرج من الغرفة إلى الشارع مباشرة..

كانت تفكر في ألَّا تعود مرة أخرى إلى «مي»، لكنها سرعان ما عدلت عن الفكرة؛ فهي في حاجة للمال، ما تحصل عليه من «مي» يجعلها تتحمل «مازن»، ولو لم يكن ملبوسًا فقط، بل لو كان هو نفسه الشيطان، لكنها ستكون حذرة في تعاملها مع هذا الطفل، الذي أصبحت متأكدة أن الأمر بالنسبة إليه ليس مجرد توحُّد، لكنها لن تستطيع أن تجهر بما تظن.

* * *

تأخرت «مي»، تعرف «سيدة» جيدًا أنها في مكان ما مع «عمرو» كالعادة..

خرجت وتركتها بمفردها مع «مازن»، «مي» مثال للأم الأنانية، أو التي ليست بأم على الإطلاق، و«سيدة» ليست قلقة لأنها تأخرت عن موعد

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

انصرافها المعتاد، بل هي قلقة من وجودها مع «مازن» وحدهما، من المفترض أنه نائم في غرفته، أما هي فتجلس قلقة في أبعد نقطة في الشقة عن غرفته، مصغية السمع لأي صوت، وأي صوت في هذا القلق أصبح يثير توترها، يمكنك أن تأتي من خلفها لتقول لها مساء الخير يا «سيدة»، فتصيبها نوبة قلبية وتموت في الحال..

حتى ذلك الصوت المنبعث من غرفة «مازن»، لن تستسلم للفضول وتذهب لتفقُّد الأمر؛ فخوفها غلب فضولها، لكن قلقها على «مازن» نفسه غلب الاثنين، حتى لو كانت تراه ممسوسًا، فهو في النهاية طفل ومسؤول منها..

تحركت نحو الغرفة بخطوات مرتعشة لترى ذلك الضوء المنبعث من تحت عقب الباب.. ضوء أحمر وكأن هناك نارًا بالغرفة، نسيت كل مخاوفها وانطلقت نحو الباب لتفتحه بسرعة، فلا تجد أي شيء، الغرفة مظلمة ولا شيء، لكنها كذلك لم تجد «مازن»، أضاءت ضوء الغرفة وانطلقت نحو الفراش.. الغطاء موجود لكن لا أحد على الفراش، التفتت لتخرج من الغرفة فلمحته واقفًا خلف الباب، ينظر إلى اللاشيء، يتأمَّل الفراغ، اقتربت منه بتردد وخوف، وضعت يدها على كتفه فشعرت كأن هناك من صعقها بالكهرباء، أبعدت يدها عنه بسرعة وارتدت إلى الوراء مذعورة، بينما ظل هو على حاله كأنه لا يراها ولا يشعر بها، أحست برغبة في البكاء، لكن كل ردود فعلها توقفت عندما نظر إليها «مازن» أخيرًا، تلك النظرة التي تجمِّد الدماء في العروق، والتي يتميز بها ويجيدها.

* * *

وقف «كرم» في الحارة أمام منزل «سيدة» يفكِّر، لم يحصل منها إلا على المزيد من الحكايات الخارقة للطبيعة، المزيد من الحكايات المسلية

مكتبتك Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

التي من الممكن أن نحكيها معًا ونحن في رحلة خلوية، لكنها بالطبع لا تصلح للتقارير الرسمية، حكايات من نوعية حكايات العجائز التي تصلح لكي تُنهي على مستقبله المهني..

لكنه الآن مرتَّب الأفكار أكثر من ذي قبل؛ فاحتمالية أن يكون في الأمر شيء ما خارق للطبيعة أصبحت هي الراجحة بالنسبة له الآن، حتى لو كان ذلك من المستحيل كتابته رسميًّا، فسيتعامل مع «مازن» من هذا المنطلق، وسيكون جاهزًا له هذه المرة، لن يكون هناك المزيد من المفاجآت..

وصل إلى الكشك الذي أوقف سيارته أمامه فأدى له صاحبه التحية العسكرية وهو واقف أمامه باحترام، تذكَّر «كرم» أنه يحتاج إلى السجائر فطلب من الرجل علبة سجائر وعندما أعطاه النقود قال له الرجل وهو متهلل الأسارير:

- اجعلها علينا نحن هذه المرة يا بيه.

فترك له «كرم» النقود أمامه وذهب دون أخذ الباقي والرجل يقول له بفزع:

- خذ الباقي يا باشا.

لكن «كرم» لم يكن في مزاج يسمح بالحديث في أي شيء، أو انتظار أي شيء، أدار محرك سيارته وذهب بها على الفور وهو يشعل لفافة تبغ، الهواء القادم من النافذة مع دخان السيجارة أعادا إليه تركيزه الذي كان قد تشتت من مجهود اليوم والصداع.. عليه الآن أن يستريح لأنه سيذهب إلى «مازن» في الغد.

عندما وصل إلى شقته، كان الولدان نائمين في الموعد الذي ضبطته «نسمة» لهما، المدارس على الأبواب كما يقولون، ويجب أن يعتادا على

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

النوم مبكرًا، لكن زوجته كانت في انتظاره، فور أن دخل من باب الشقة جرت عليه وهي تقول له بحنان:

- حمدًا لله على سلامتك يا حبيبي.

احتضنها «كرم» وقبَّل وجنتها وهو يقول لها:

- الله يسلمك يا حبيبتي.

يشعر أنه يفتقد أسرته كثيرًا، اليوم بالذات يشعر أنه يفتقدهم بشدة.. سألته «نسمة»:

- هل ستأكل الآن؟

تذكَّر فجأة أنه لم يأكل شيئًا منذ الصباح، فقط السجائر والشاي والقهوة هي ما دخلت جوفه، لكنه لم يكن يملك أي رغبة في الأكل.. رد عليها بصوت خائر:

- لا أريد أن آكل، أريد فقط أن أستريح.

دخل «كرم» مباشرة إلى غرفة النوم فبدَّل ملابسه ثم ألقى بنفسه على السرير، لم يستغرق الكثير من الوقت حتى يغرق في سبات عميق، وكان هذا طبيعيًّا بعد يوم طويل مليء بالحكايات المسلية التي تزيد تعقيد الأمور، وتزيدها سوءًا.

* * *

عقارب الساعة الفسفورية تشير إلى الرابعة فجرًا، الوقت الذي حدثت فيه الجريمة، والذي أصبح الموعد اليومي للقاء «مازن»، كان الأمر كأنه قد أصبح برنامجًا يوميًّا بالنسبة لـ«كرم»، يجلس «مازن» على فراشه في

مكتبتك Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

غرفته بالمصحة بينما يدخل عليه «كرم» من باب الغرفة، يهز «مازن» رأسه في أسى ويقول له في حسرة من دون أن ينظر إليه:

- لا أدري لماذا تضيع الوقت يا «كرم»!

يرد عليه «كرم» بتلعثم:

- أنا لا أضيع الوقت، أنا فقط أجمع المعلومات.

على الرغم من الضوء الخافت، رأى «كرم» تلك الابتسامة على وجه «مازن» وهو يقول بسخرية:

- أي معلومات؟! لا أحد منهم يعرف أي شيء، أنت حتى لا تعرف ما بك.

سأله «كرم» بعدم فهم:

- وما الذي بي؟

أجابه «مازن» بحزن بعد أن زفر في ضيق:

- سوف تعرف كل شيء عندما تأتي.

فهزَّ «كرم» رأسه، بينما استطرد «مازن» بحزم:

- هناك شيء آخر أريد أن أخبرك به.

سأله «كرم» بسرعة ودقات قلبه تتسارع:

- ما ذلك الشيء؟

اتسعت ابتسامة «مازن» وهو يجيب:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- أريد أن أخبرك أن اسمك جميل.

لم يدرِ «كرم» هل يضحك أم يبكي، فجأة قام «مازن» من على السرير واقترب من «كرم»، أمسك بيده بقوة كبيرة لا تتناسب وسنه الصغيرة وقال له بصرامة:

- لا تتأخر أكثر من ذلك يا «كرم»، لا تتأخر.

رد عليه «كرم» بفزع:

- لن أتأخر، لن أتأخر.

وظلَّ يرددها حتى استيقظ من النوم، شعر بألم في يده في المكان الذي كان يمسكه منه «مازن» في الحلم، وعندما نظر إليها رأى تلك العلامات الحمراء، كأن هناك من كان يمسك بيده بالفعل.

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الورم

وصل «سميح» متأخرًا عن موعده اليومي المعتاد، كان يهرول في الخطوات القليلة المتبقية التي كانت تفصله عن مقر الجريدة، حين استوقفه حارس العقار ليمد يده بمظروف أصفر كبير وهو يقول له:

- أستاذ «سميح».. لقد ترك لك شخصٌ ما هذا المظروف.

أمسك «سميح» بالمظروف من يد الحارس وتأمله دون أن يفتحه، كان مكتنزًا، ما يدل على أن به الكثير من الأوراق، نظر إلى الحارس وسأله:

- ألا تعرف الشخص الذي تركه؟

أجاب الحارس وهو يهز رأسه:

- لا أعرفه يا أستاذ «سميح»، لم أرَه من قبل ولا أريد رؤيته مرة أخرى.

ابتسم «سميح» وهو يسأله مداعبًا:

- لماذا؟ ماذا فعل بك؟

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أجابه الحارس بجدية:

- رجل غير مريح بالمرة، بالإضافة إلى أنه أيقظني في الفجر.

لم يطل «سميح» في الحديث معه أكثر من ذلك لتأخره عن موعد عمله في الأساس، صعد درجات السلم بسرعة؛ فالمصعد مُعطَّل كالمعتاد، دخل الشقة التي هي مقر الجريدة ليجد «كريمة» في انتظاره تنظر إليه بلوم كأنها كانت تعرف أنه سيدخل الآن وتقول له هامسة:

- الأستاذ «علام» يريدك في مكتبه.. لماذا تأخرت؟

أجابها «سميح» متذمرًا:

- الجميع يتأخر، هذه ليست أول مرة أتأخر فيها، ما الذي حدث؟

أجابته «كريمة» بلهجة ذات مغزى:

- الذي حدث أنه يريد أن يتخلَّص منك.

زفر «سميح» في ضيق وأشاح بوجهه وهو يقول:

- سوف أذهب إليه لأعرف ما يريد.

سار «سميح» نحو مكتب رئيس التحرير بخطوات مترددة، عندما يطلبك مديرك ليلومك على شيء حدث من قبل دون أن يُعلق عليه، وعندما يكون هناك كلام عن أنه يريد التخلص منه، تكون مقابلته غير محببة للنفس بالمرة.

طرق «سميح» باب غرفة مكتب الأستاذ «علام»، رئيس التحرير، ليسمع صوته قادمًا من الداخل يسمح له بالدخول، كان «علام» يتحدث كأنه أحد الملوك الذي يتعطَّف على أحد العامة ويسمح له بالدخول إلى بهوه

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الملكي، دخل «سميح» بخطوات مرتعشة ليجده جالسًا على كرسيه يدخن سيجارة ويتأمل دخانها السابح من حوله، بمجرد أن رآه قال له بسخرية:

- حمدًا لله على سلامتك يا أستاذ «سميح»!

كان «سميح» يفهم مقصد «علام» من الكلام بهذه الطريقة، يمكنه أن يبادله التهكم والسخرية فينتهي به الأمر في الشارع، أو يدَّعي المسالمة وعدم الفهم والغباء فيظل في عمله ولو مؤقتًا، كان «علام» يريد أن يستفزه حتى يُخطئ ويجد هو ذريعة لطرده، لكن «سميح» رد بمنتهى البرود وهو يبتسم:

- الله يسلمك يا أستاذ «علام».

اختفت الابتسامة من على وجه «علام» وسأله بجدية:

- لماذا تأخرت يا «سميح»؟

أجابه «سميح» على الفور؛ لأنه كان يتوقع السؤال، قال بطريقة تمثيلية بدت مبتذلة أكثر من اللازم:

- أنت تعرف أزمة المواصلات يا أستاذ «علام».

رد عليه «علام» بصرامة:

- كلنا نعاني هذه الأزمة، لا تتأخر مرة أخرى.

هذا فقط ما قاله، كأنه طفل وهو يقول له: «لا تفعل ذلك مرة أخرى»، لو كان تحدث معه بحدة وصرامة أكثر من ذلك، لو ظل يُعنِّف فيه مدة طويلة لاطمأن، لكنه ما دام لم يطل حديثه معه، فهو فقط يريد أن يسجل له

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أمام نفسه أنه تأخر، حتى يجمع الذرائع الكافية لطرده دون وخزة ضمير، هز «سميح» رأسه بقلق وهو يرد عليه:

- حسنًا، أعدك يا أستاذ «علام» أنني لن أتأخر مرة أخرى.

زفر «علام» في ضيق واستطرد:

- لكن ليس ذلك فقط سبب طلبي لك اليوم، يوجد سبب آخر.

ظهرت علامات القلق على وجه «سميح»، ونظر إليه في ترقب، حتى قال له «علام» وهو يتنهد بحزن:

- للأسف يا «سميح»، طريقة عملك لا تعجبني.

حاول «سميح» أن يقول أي شيء، يبرر بأي سبب، لكن «علام» أشار إليه بالصمت وهو يكمل كلامه:

- أنت تعرف جيدًا أن الجريدة لا توَزَّع بصورة جيدة، الحوادث من أكثر الأشياء التي تثير فضول القارئ، الناس يحبون الحديث عن القتل والسرقة والاغتصاب.. أنت من المفترض أنك المسؤول عن أهم صفحة بالجريدة، ما دام التوزيع في انخفاض فأنت لا تقوم بعملك على أكمل وجه.

حاول «سميح» أن يرد عليه من جديد، لكنه قاطعه هذه المرة أيضًا وهو يقول له بلهجة آمرة:

- لا أريد مبررات، أريد مزيدًا من العمل، لن يأتي العمل إليك وأنت جالس في مكتبك، الآن تفضل، وأريد المزيد من الأخبار.

بمجرد أن أنهى «علام» كلامه، تظاهر بأنه يقرأ في ملف أمامه، على الرغم من أن الملف كان مغلقًا، فترك «سميح» غرفة المكتب وهو يشعر

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

بمزيج من الغضب والحزن، «علام» في الأساس هو مَن علَّمه تلك الطريقة في جمع المعلومات عن الحوادث، الآن يلومه عليها؛ لذلك يعتقد «سميح» أن الأمر مجرد ذريعة لطرده من الجريدة، دخل غرفة مكتبه، حيث كانت «كريمة» في انتظاره، سألته بلهفة فور دخوله الغرفة:

- ماذا قال لك؟

أجابها وهو يزفر في ضيق:

- لا شيء، هو فقط يريد طريقة لطيفة للتخلص مني.

هزت «كريمة» رأسها في فهم وهي تقول بفخر:

- لقد أخبرتك.

دائمًا ما يفرح المرء إذا ما صدق حدسه، وهذا ما يخفف من وقع المصائب إذا توقعناها، لم يرد «سميح» عليها، جلس على مكتبه وهو يضع المظروف الكبير أمامه في لا مبالاة، فسألته «كريمة» عن المظروف لأنه كان لافتا للنظر؛ لحجمه الكبير، فقال لها وهو يمسك به من جديد:

- سوف نعرف الآن.

فضَّ «سميح» المظروف الذي كان مغلقًا بعناية، ليجد بضع أوراق مكتوبة بخط سيئ لدرجة أن في قراءتها معاناة كبيرة، كأن كاتبها كان يكتبها وهو واقف في حافلة نقل عام، لكن بعد أن نجح «سميح» في قراءة السطور الأولى ترك الأوراق وأمسك بهاتفه وهو يبحث عن رقم هاتف في جنون، لاحظت «كريمة» انفعاله فسألته:

- - ماذا بك يا «سميح»؟

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أشار إليها بالصمت بطريقة لم تعجبها، بينما انتظر هو حتى رد عليه الطرف الآخر، سمعته «كريمة» يقول:

- أنا «سميح».. الصحفي «سميح».. أهلًا بحضرتك.. كنت أريد أن أسألك عن جريمة القتل التي حدثت بالأمس لشحاذ تحت الكوبري القريب من... النشر ممنوع لماذا؟ لقد عرفت بطريقة ما.. حاضر يا أفندم، لن ننشر أي شيء.. مع السلامة.

أغلق «سميح» الخط وظلّ ينظر إلى الفراغ في شرود.. تحركت «كريمة» حتى وقفت أمامه وقالت له مداعبة وهي تحرك يدها أمام عينيه:

- ماذا حدث يا أستاذ «سميح»؟

رد عليها وهو يلوّح بالأوراق:

- لقد أرسل إليَّ القاتل هذا الخطاب.

نظرت إليه «كريمة» بعدم فهم فبدأ بقراءة المكتوب.

* * *

كان مكتوبًا في الأوراق:

أظن أنك تأكدت من صدق كلامي وجديتي بعد أن تأكدت من مقتل الشحاذ الذي حددت لك مكانه بالأمس، لا تقل لي إنه ليس له ذنب.. لقد ناداني القدر وأمرني بذلك، أنا فقط أقوم بتنفيذ ما يمليه القدر عليَّ.. ليس لأنني أقوم بقتل بعض الأشخاص فهذا يعني أنني شخص سيء.. هذا خلط واضح للأوراق وظلم بين..

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

القدر صديق قديم أعلمه منذ أن أصيب والدي بالشلل وقالوا إن القدر هو مَن فعل به ذلك، ساعتها لم أكن أعرفه ولم أكن أعرف أنه يمكنه عمل ما يحلو له دون أن تسأله عن السبب، حتى بعد أن أصبحت أعمل معه لا يُخبرني بالأسباب، فقط أقوم بتنفيذ المهام التي يسندها إليَّ..

بعد أن أصيب والدي بالشلل اضطرت أمي أن تبيع نفسها حتى توفِّر لي حياة كريمة، وهذه مفارقة غريبة؛ تبيع هي نفسها حتى تحافظ عليَّ، كان والدي يرقد في غرفته، لا يشعر بشيء مما يحدث في الغرفة الأخرى التي أصبحت مقر عمل والدتي..

أنا فقط من كان يرى ويسمع ويفهم كل شيء، أنا من تألَّم بمرض والده وتألَّم بتضحية أمه، هل يجب أن أكرهها؟ هل يجب أن أغضب منها؟ إنها في النهاية تفعل ذلك كله من أجلي..

صراع لم يحسمه إلا القدر، عندما عرفته وسمعت صوته، أنا لم أرَه حتى الآن، هو لا يحب الظهور، على الرغم من أنه يفعل كل شيء فإنه لا يحب الظهور كثيرًا، هو لا يحب الأضواء، ويشعر بالخجل، حتى إنه لم يتزوَّج حتى الآن، أخبرته أكثر من مرة أنه يجب عليه أن يتزوج حتى يكون لديه من يقف إلى جواره عندما يمر العمر به، لكنه يرفض الفكرة تمامًا، لا أعرف السبب، لكنه بالتأكيد لا يخشى القدر!

أخبرني القدر أن أمي قد انتهت وظيفتها، وأنها يجب أن يتم إرسالها إلى الجهة الأخرى حتى تستريح، ربما يعتبرها البعض خاطئة، لكنها لم تكن في نظري كذلك، بالتأكيد سوف يتركونها تعيش في سلام في الجانب الآخر، لن أسمح لأحد أن يتكلم عنها بطريقة سيئة، هي فعلت ما فعلت من أجل طفلها الصغير الذي كبر، وحان وقت رد جميلها..

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

لكني لم أوافق على إرسالها إلا بعد أن أخذت منه العهد على أنها لن يصيبها مكروه، فوعدني وأنا متأكد من أنه لا يكذب، لماذا يكذب؟! الكذبُ عادةُ الضعفاء، وهو ليس كذلك..

ماتت أمي، كان ذلك أجمل يوم في حياتي، أخيرًا استراحَتْ واسترحتُ أنا من ماضيها المؤلم، كان والدي قد مات منذ مدة واستراح هو الآخر، لكني طلبت منها ألا تخبره بأي شيء مما كانت تفعله قبل موتها عندما تراه في الجانب الآخر، ليس هناك داعٍ لعمل المزيد من المشاكل هناك، نريد أن نعيش معًا في سلام بعد المشاكل التي تعرضنا لها هنا..

ومنذ أن أديت مهمتي وأعجب القدر بعملي، صار يسند إليَّ الكثير من الأعمال، يوجد غيري كثيرون في مختلف بقاع الأرض؛ فقد صار هو كبيرًا في السن ويحتاج إلى مساعدتنا..

لن أطيل عليك أكثر من ذلك لأني أشعر بالملل سريعًا، أنا فقط أريدك أن توصِّل قصتي وعملي العظيم للعامة..

* * *

انتهى «سميح» من قراءة الأوراق التي كانت كثيرة العدد؛ لأن كاتبها كان قد كتبها بخط كبير، كان من الممكن أن تُكتب كلها في أقل من ذلك بكثير، نظر إلى «كريمة» فوجدها تنظر إليه في شرود، فسألها:

- ما رأيك يا «كريمة»؟

أجابته وهي تفكر:

- ربما تكون هذه هي فرصتك للبقاء في الجريدة، بل فرصتك للشهرة.

فعاد «سميح» يسألها بقلق لأنه يتوقع الإجابة:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- وكيف يكون ذلك؟

ردت عليه بحماس على الفور:

- يجب أن تظل على اتصال به.

نظر إليها «سميح» بقلق وهو يقول:

- إنه قاتل، ومن الواضح أنه مجنون.

ردت عليه بحماس زائد هذه المرة:

- وهذا هو المطلوب، تخيل لو كتبنا مذكراته وعلمنا جرائمه فور وقوعها، سوف نحقق أعلى المبيعات.

سكت «سميح» قليلًا قبل أن يسألها بتردد:

- هل تعتقدين أنه يجب أن أخبر الأستاذ «علام»؟

أجابته على الفور:

- بالتأكيد سوف نخبر «علام»، والآن.

رنَّ جرس هاتفه فأمسك به ونظر ليجد رقمًا لا يعرفه، شعر بالخوف، لا يدري كيف عرف أنه هو، فتح الخط وانتظر حتى جاءه الصوت الرخيم يقول له:

- كيف حالك يا «سميح»؟

أجابه «سميح» بصوت متلعثم:

- بخير، مَن حضرتك؟

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

سمع «سميح» ضحكة قبل أن يأتيه الصوت من جديد:

- لم تعرف صوتي حتى الآن، سوف يكون بيننا الكثير من العمل.

ثم ساد الصمت لبعض الوقت قبل أن يعود الصوت من جديد بجدية هذه المرة:

- أنا نائب القدر.

فلم يعرف «سميح» بماذا يجيب.

* * *

يتذكر «كرم» ذلك الشعور الذي ينتابه الآن، كان ذلك في اختبار كشف الهيئة عندما تقدَّم للالتحاق بكلية الشرطة: التوتُّر والترقُّب، ربما كونه ذاهبًا لمقابلة «مازن» أصعب عليه من كشف الهيئة، وقف أمام المرآة مدةً طويلة يتأكد من أن ثيابه مهندمة، يتأمل الهالات السوداء تحت عينيه بعدم رضا، يأخذ المسكِّن حتى يقضي على الصداع ليكون بكامل تركيزه مع «مازن»، حتى إن «بسمة» رمقته بشكٍّ قبل أن تسأله:

- هل أنت متأكد من أنك ذاهب لمقابلة ذلك الولد الملبوس؟!

أجابها وهو ما زال ينظر إلى صورته المرهقة في المرآة:

- لا أدري.

كان شارد الذهن ويرد بأي شيء، حتى إنها استفسرت عن معنى رده، لكنه كان قد أفاق من شروده وأحس أنه قد ضيَّع الكثير من الوقت فربت على كتفها وخرج من الغرفة إلى باب الشقة..

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

في الطريق إلى المصحة، كان يرسم في خياله كل الاحتمالات الممكنة في لقائه المقبل مع «مازن»، يضع الإنسانُ دائمًا كلَّ الاحتمالات ليأتي الاحتمال الجديد الذي لم يتوصل ذهنه إليه فيحدث، دائمًا ما تُبهرنا الأقدار وتخبرنا أننا لن نستطيع أن نتعرَّف على ما تخبئه لنا مهما حاولنا..

وصل «كرم» بسيارته فتركها في المكان الممنوع الوقوف فيه أمام المصحة، هذا هو مكانه المفضَّل منذ أن بدأ العمل على هذه القضية منذ عام تقريبًا، همَّ الحارس باعتراضه، لكنه تذكره، كان الحارس نفسه لم يتغير، أدى التحية العسكرية له فردها له «كرم» هذه المرة وابتسم في وجهه على غير المعتاد، وقف أمام الباب الزجاجي لصالة الاستقبال، أمسك بمقبض الباب في توتر، فتح الباب ببطء كأنه يتمنَّى أن تختفي المصحة بمن فيها قبل أن تطأها قدماه، سرت قشعريرة في جسده وأحس بوخزة في وجهه وبعض الدوار، كأنه قد عبر إلى عالمٍ آخر..

«سعد» و«جمالات» كانا في انتظاره، هو يرى «سعد» كثيرًا، لكن ما لفت انتباهه أن «جمالات» ما زالت كما هي، جميلة كما هي واسمها غريب كما هو، ابتسم عندما رآهما فأقبل عليه «سعد» بمرحه المعتاد وهو يقول له بسعادة بالغة كأنه طفل تائه قد وجد والده:

- حمدًا لله على سلامتك يا كبير.

تذكر «كرم» أنه هو سبب عودته للعمل على هذه القضية فوكزه وهو يرد عليه بغضب:

- منك لله.. أنت سبب عودتي للعمل مع «مازن».

كانت «جمالات» قد اقتربت منهما فسمعت «كرم» لترد عليه بجدية:

- مجيئك كان لا بد منه، «مازن» لا يريد أن ينطق بكلمة مع غيرك.

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

زفر «كرم» في ضيق والتمع القلق في عينيه وهو يقول بخوف:

- وهذا ما يقلقني.

كان بالفعل يخشى المقابلة ويتوقَّع أن تحمل في طيَّاتها مصيبة جديدة، قاده «سعد» إلى الغرفة وهو يجر قدميه جرًّا، كأنهما لا تريدان الذهاب، طرق «سعد» الباب قبل أن يدخل ليجد الممرضة تجلس في صمت مراقبةً «مازن»، الذي كان يجلس على الفراش وينظر إلى باب الغرفة كأنه كان في انتظار «كرم»، الذي ما إن دخل ووقعت عيناه على «مازن» حتى ازدادت الرهبة وارتعشت يداه.. هو متأكِّد الآن أن الأمر ليس مجرد توحُّد..

اقتربت «جمالات» من «مازن» بهدوء لتخبره بحضور «كرم»، لكنه قال لها على الفور بجدية:

- أريد أن أجلس معه وحدنا.

بالطبع كان يقصد «كرم». ترددت «جمالات»، لكنها انصاعت في النهاية فخرجت ومعها الممرضة و«سعد». كان «كرم» يريد أن يتوسل إليهم ألَّا يتركوه معه، لكنهم تركوه وذهبوا، ليجد نفسه في تلك الغرفة المغلقة بمفرده مع «مازن»، الذي ما إن خرجوا حتى سأله بلوم:

- لماذا تأخرت؟

أجابه «كرم» على الفور:

- الطريق كان مزدحمًا.

نظر إليه «مازن» بما يعني «لا تدَّعي الهبل» وهو يقول له:

- أنت تعرف ماذا أقصد.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ابتلع «كرم» ريقه بصوت مسموع وهو يقول:

- لقد كنت أجمع بعض المعلومات عن القضية.

فابتسم «مازن» بثقة وهو يقول:

- لقد كنت تبحث في المكان الخاطئ.

فسأله «كرم» بفضول:

- وأين أبدأ البحث؟

أجابه «مازن» بجدية:

- أنت لن تبحث طويلًا، فقط يجب أن تقبل بالصفقة.

فعاد «كرم» يسأله بقلق وقد وتَّرته كلماته الغامضة:

- أي صفقة يا «مازن»؟

اكتست ملامح «مازن» بالحزن وهو يقول له:

- صفقة حياتك، لكن كلَّ شيء له ثمن، كل صفقة تكون أن تأخذ شيئًا ما وتعطي شيئًا آخر، لكن هذه الصفقة ستكون من نوع خاص، سوف تعطي فقط، سوف آخذ أنا منك كل شيء، وأنت ليس أمامك إلا أن توافق.

ارتعب «كرم» وأحس برغبة في الهرب من أمامه، لكنه عاد يسأله برفق:

- ماذا تقصد يا «مازن»؟ أنا لا أفهم أي شيء.

فأجابه «مازن» بحزن:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- ابحث عن الورم.

فعاد «كرم» يسأله بقلق:

- أي ورم؟!

كان «كرم» لا يزال واقفًا أمام الفراش كأنه يخشى الاقتراب منه، فأشار إليه «مازن» أن يقترب منه، فاقترب، فأشار إليه أن ينحني ليضع «مازن» يده على رأس «كرم» وهو يقول له بمزيج من الحزن والشفقة:

- الورم يا صاحب الاسم الجميل.

اتسعت عينا «كرم» برعب، فهم ما يرمي إليه «مازن»، وتمنى ألَّا يكون على صواب.

* * *

نظر «علام» إلى الأوراق التي بين يديه، ثم نظر إلى «سميح» و«كريمة» ليعود بنظره إلى الأوراق من جديد، كأنه غير مصدِّق لما يسمعه، كان «سميح» يقصُّ عليه المكالمتين.. بعد أن انتهى «سميح» من السرد، كان «علام» قد قرأ الأوراق أكثر من مرة، سكت «سميح» ليرمقه «علام» بنظرة نارية لم يعرف سببها، حتى إنه سأله بدهشة:

- هل هناك شيء ما يا أستاذ «علام»؟!

أجابه «علام» بسخرية وهو ينظر إلى «كريمة»:

- لا شيء يا أستاذ «سميح»، وأنتِ يا «كريمة»، لماذا لم تخبريني بهذه القصة من قبل؟

أجابته «كريمة» على الفور:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- كنا نريد أن نتأكَّد من أنها ليست دعابة.

فهزَّ «علام» رأسه بعدم اقتناع وهو يقول:

- وهل تأكدتم الآن؟ ماذا ستفعلون؟

رد عليه «سميح» هذه المرة:

- نحن في انتظار تعليمات حضرتك.

ضرب «علام» المكتب بكفه وهو يقول بحماس:

- وهل هذا الأمر يحتاج إلى تعليمات؟! أريد منكما أن تعملا على هذا الموضوع، أريد تحقيقًا صحفيًّا وقصة مثيرة: القاتل يتصل بالصحفي ويخبره بقصة حياته، القاتل يخبر الصحفي بالجريمة قبل أن يقوم بها بلحظات.. هذا الموضوع يمكنه أن ينقل الجريدة نقلة جديدة.

رد عليه «سميح» معترضًا:

- لكن يا أستاذ «علام»...

فقاطعه «علام» بغلظة:

- لا.. لكن أريدك أن تكتب ما حدث في صورة قصة مثيرة، سوف نقوم بنشرها على حلقات، هذه هي الطريقة الوحيدة لبقائك بالجريدة.

فهز «سميح» رأسه في إذعان، ونظر إلى «كريمة» كأنه يطلب منها العون والمشورة.

* * *

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

منذ أن خرج «كرم» من عند «مازن» وتلك الفكرة القاسية تسيطر عليه، لكن كيف يمكن لـ«مازن» أن يعرف؟! سؤال كان يجول بخاطر «كرم»، الشيء الذي جعله يحاول أن يتأكد من حدس «مازن» هو اعتقاده أنه طفل غير طبيعي..

في اليوم الذي خرج فيه «كرم» من عند «مازن»، ذهب مباشرة إلى طبيب «مخ وأعصاب»، بعد الفحص طلب منه الطبيب كثيرًا من التحاليل والأشعة الطبية ليعود بها «كرم» إليه فيقوم بتحويله إلى طبيب «أورام»، هنا تأكد «كرم» من أن حدسه كان في محله.. لقد أكَّد له الطبيب أنه مصاب بورم في المخ، هو ما زال في بدايته ومن حسن حظه أنهم اكتشفوه مبكرًا، يمكن للعلاج أن يكون له أثر جيد..

بالطبع لم يستمع «كرم» لأي كلمة من كلمات الطبيب، هو لم يرَ أحدًا قد نجا من ذلك المرض الفتَّاك، كان يجول في ذهنه أنهم كلهم يتم تعذيبهم بالكيماوي قبل موتهم، عليه الآن أن يستسلم، عليه الآن أن ينسى كل آماله وأحلامه، على «نسمة» أن تقوم بتربية الولدين بمفردها.. ومن قال إنها ستظل بمفردها؟ ربما تتزوج بعد موته مباشرة، سيكون لـ«سامح» زوج أم يقوم بتعذيبه، وعندما تكبر «هدى» سيقوم زوج أمها بمغازلتها.. كل الأفلام يحدث فيها ذلك. يجب ألا أموت الآن، لن أترك ولديَّ لرجل آخر يعذبهما..

- بالنسبة للتدخل الجراحي من عدمه، هذا يعتمد على درجة استجابتك للعلاج الكيماوي.

كان الطبيب ما زال يتحدَّث و«كرم» غارق في تأملاته. قام «كرم» واقفًا وتحرك نحو الباب من دون أن يرد على الطبيب أو يلتفت إليه، حتى عندما نادى الطبيب عليه ليأخذ التحاليل والأشعة الخاصة به معه..

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

نزل «كرم» من عند الطبيب محطمًا تمامًا لا يدري ما الذي عليه فعله..

ربما يكون الحل عند من أخبره بالمرض.. ربما يكون الحل عند «مازن».

* * *

أوقف «كرم» سيارته أمام المصحة ونزل منها مسرعا إلى غرفة «مازن»، لم يكن «سعد» أو «جمالات» بالمصحة، ومَن بالمصحة يعرفون طبيعة عمله؛ لذلك فلم يعترضه أحد..

دخل غرفة «مازن» من دون أن يطرق الباب، ليأمر الممرضة بالخروج، بعد أن خرجت الممرضة اقترب «كرم» ببطء ووقف أمام الفراش الذي كان «مازن» يجلس عليه في هدوء، سأله «كرم» مباشرة:

- كيف عرفت يا «مازن»؟ أنا نفسي لم أكن أعرف.

ابتسم «مازن» في رضا وهو يجيب:

- أنا لا أعرف فقط، بل أيضًا يمكنني أن أخلِّصك منه.

نظر إليه «كرم» في عدم فهم وهو يسأل:

- تخلِّصني من ماذا؟

أجابه «مازن» بضجر:

- من الورم.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

نظر إليه «كرم» بشك، فترة من الصمت مرت عليهما قبل أن يسأله «كرم» بشك من جديد:

- كيف يمكن ذلك؟

زفر «مازن» في ضيق وهو يرد عليه:

- هذا ليس من شأنك، المهم أنه سيختفي.

فجأة ابتسم «كرم»، ثم تحوَّلت ابتسامته إلى ضحكة عالية وقال والكلمات لا تكاد تخرج من بين شفتيه بسبب قهقهته:

- هل رأيت المرحلة التي وصلت إليها بسبب هذه القضية؟ صرت أتحدث مع طفل متخلِّف عن الأورام وطريقة علاجها.

ابتسم «مازن» ولم يرد، بينما استطرد «كرم» وهو ما زال يضحك:

- الأدهى من ذلك أنك تدَّعي أنه يمكنك علاجي.

فجأة التمعت الدموع في عيني «كرم» واختفت الابتسامة من على وجهه، انطلق نحو «مازن» وأمسك بتلابيبه وهو يقول له بغضب:

- ماذا فعلت بي أيها الطفل الملعون؟!

لا يعرف «كرم» ما الذي حدث، لا يعرف إلا أنه وجد نفسه يرتطم بالحائط بعيدًا عن الفراش ليستقر على الأرض. قام «مازن» من على الفراش واقترب منه بتؤدة، كان «كرم» مستقرًّا على الأرض في استسلام تام، حتى إنه لم يرفع رأسه ليراه وهو يقول له بهدوء:

- أنا مقدِّر لحالتك النفسية، لذلك فلن أعاقبك.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ابتسم «كرم» بسخرية وهو يقول:

- وماذا ستفعل بي؟! أنا ميت على كل حال.

رد عليه «مازن»:

- لقد أخبرتك أنني يمكنني أن أشفيك.

ثم أضاف بلهجة متوعدة:

- ثم هناك «سامح» و«هدى»، ألا تريد لهما السلامة؟

اتسعت عينا «كرم» وهو يقول له بغضب:

- ليس لك علاقة بالولدين أيها الملعون.

تنهَّد «مازن» وهو يقول له في ضيق:

- أنا لا أحب أن أستعمل معك هذه الطريقة، أنت صديقي بالفعل، لكنك لا تريد أن تفهم.

فسأله «كرم» بجدية بعد أن استعاد رباطة جأشه وقام من على الأرض:

- أفهم ماذا؟ لم أعد أطيق المزيد من الألغاز.

رد عليه «مازن»:

- ونحن لا نملك الوقت للمزيد من الألغاز.

فقال له «كرم» بتوسل:

- قل لي ما تريد، لكن هل بالفعل يمكنك علاجي؟

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

هز «مازن» رأسه وهو يقول له:

- ابحث عن نائب القدر.

وعاد «مازن» إلى فراشه من جديد، كان «كرم» يعرف أن هذا يعني أنه لا يريد المزيد من الكلام، فتأهَّب للخروج، لكنه قبل أن يخرج سمع «مازن» يقول له بجدية:

- لقد صدقت يا «كرم» عندما قلت إنني ملعون.

فالتفت إليه «كرم» بينما استطرد هو بحزن:

- وأنا مللت من هذه الحياة ويجب وضع حد لها.

فسأله «كرم» بسرعة:

- من نائب القدر هذا؟

أجابه «مازن»:

- سل «سعد» وسوف يخبرك.

ثم تمدد على الفراش ووضع الغطاء على رأسه، فترك «كرم» الغرفة وذهب في رحلة بحثه عن نائب القدر.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

مكتبتك

مكتبتك لعمل الكتب اندرويد ورفعها على جوجل بلاي

كتب معرض الكتاب على موبايلك اثناء المعرض

يمكنك طلب اي كتاب على جوجل كتب فقط بربع الثمن

ان اردت رفع كتاب لك يمكن ان ترسل لنا على صفحتنا على فيس بوك (مكتبتك) او (Mktbtk.uk)

يوجد ايضاً افلام ومسلسلات بدون اعلانات على موقعنا

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

صحفي

كان «علام» يجلس في سعادة ومرح، كأنه قد وجد نفسه في سوق السمك بمفرده والمحال كلها مفتوحة ومتروكة من دون حراسة، التحقيق الصحفي الذي قام به «سميح» أحدث ضجة كبيرة، حتى الذين لم يصدقوا الكلام المنشور بالجريدة حاولوا الحصول عليها ليقرأوا وهم يعتقدون أن الأمر محض كذب، يريدون أن يشعروا فقط بالإثارة، مثلها مثل أي شائعة يلوكها الجميع بأفواههم من باب التسلية..

مبيعات الجريدة ارتفعت بين ليلة وضحاها، وهناك برنامج تليفزيوني تحدَّث عن الخبر المنشور بالجريدة وأضاف إليه بعض الإضافات التي أعجبت «علام»، كان المذيع يصرخ بلا توقف كأن القاتل ينتظره على باب مكان التصوير، أو يقف خلف آلة التصوير، زاد هذا البرنامج من شهرة الموضوع وانتشاره بسرعة بين الناس..

مكتبتك

الناس سمعوا البرنامج الذي كان مذيعه قد أضاف بعض الإضافات على التحقيق الصحفي، وأضافوا عليه ما رأوا أن له علاقة بالموضوع، وبات القاتل المتسلسل الذي يطلق على نفسه «نائب القدر»، هو سبب كل

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

المشاكل التي تحدث في البلاد، حتى خروج فريق كرة القدم من التصفيات المؤهلة لكأس العالم وجد الناس أنه كان بسبب أن اللاعبين كانوا يفكرون في القاتل..

حقق التحقيق الصحفي ضجة أكبر بكثير من التي كان يريدها أو يتوقعها «علام»، على الرغم من الذين شككوا في الأمر واتهموا الجريدة بالخداع وتلفيق الموضوع، حتى إن هناك قناة تليفزيونية طلبت إجراء مقابلة مع «سميح»..

كان «علام» جالسًا يضحك في مرح وود مع «سميح»، الذي منذ أيام كان يريد طرده من الجريدة، لكن لا شيء يبقى على حاله، قال له مداعبًا وهو يجلس إلى جواره في مكتب رئيس التحرير ويلكزه بمرح في كتفه:

- هل صدقت الآن؟ لقد أخبرتك أن هذا الموضوع سوف يكون فاتحة خير على الجريدة.

هز «سميح» رأسه بقلق ولم يرد، فسأله «علام» بدهشة:

- لماذا أراك غير متحمس أو سعيد على الرغم من النجاح الذي حققناه؟!

لم يجبه «سميح» فردت «كريمة» التي كانت تجلس معهما:

- إنه غير مستريح للأمر برمته.

فنظر إليها «علام» بعدم فهم، ثم عاد فسأله:

- وما الذي لا يريحك يا «سميح»؟

زفر «سميح» في ضيق قبل أن يجيبه:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- وهل يجب أن أكون مستريحًا وأنا على اتصال بقاتل مخبول، وأكتب له مذكراته الشخصية؟! أنا لست على اتصال بكاتب أو عالم، أنا أكتب خواطر ومذكرات السفَّاح.

اتسعت عينا «علام» بفرح مفاجئ قبل أن يقول بحماس:

- عندك حق، سيكون اسم المقالات بعد ذلك «خواطر ومذكرات سفاح»، لقد صرت عبقريًّا فجأة يا «سميح».

لكن «سميح» قال له بتوسُّل:

- أرجوك يا أستاذ «علام» أن تعفيني من العمل على هذا التحقيق.

اختفت الابتسامة فجأة من على وجه «علام» واكتست ملامحه بالجدية قبل أن يقول له بصرامة:

- يمكنني أن أعفيك من العمل بالجريدة كلها.

كانت لهجته تحمل الكثير من التهديد والإهانة، حتى إن «سميح» ابتلعهما وفضَّل الصمت، حتى استطرد «علام» بطريقةٍ ودودٍ من جديد:

- أنا أريد مصلحتك يا «سميح»، هذا التحقيق سوف ينقلك نقلة كبيرة في عالم الصحافة، أنت تتحدث عن الكُتَّاب والعلماء، أين هم؟! ولو وُجدوا، من يستمع إليهم أو يهتم بهم؟ الناس يحبون الكلام عن الجرائم والفضائح، هذا ما يثير انتباههم، هذا ليس زمان «العقاد» و«أم كلثوم»، تأمل ماذا يسمعون وماذا يقرأون وأنت تعرف إلى أين نحن ذاهبون.

هزَّ «سميح» رأسه في حسرة ولم يرد، ظل شاردًا بعض الوقت حتى دخلوا غرفة المكتب فجأة من دون استئذان..

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

فجأة أصبحت الغرفة تعجُّ بالرجال الذين يرتدون القمصان البيضاء والبناطيل السوداء، وعدد منهم يرتدي معاطف قصيرة سوداء، كان من الواضح أنهم شرطة، على الرغم من أنهم لا يرتدون الملابس الرسمية..

قال لهم «علام» بحدة موجهًا كلامه لمن يعتقد أنه قائدهم بعد أن أفاق من دهشته:

- ما هذا يا أستاذ؟ كيف تدخلون هكذا؟!

رد الرجل بصرامة موجهًا كلامه لـ«سميح»:

- نريدك معنا يا أستاذ «سميح».

انكمش «سميح» في كرسيه وهو يسأل برعب:

- من أنتم؟ وماذا تريدون؟

رد عليه الرجل بضجر:

- من الواضح من نحن، وسوف تعرف ماذا نريد عندما تأتي معنا.

تدخَّل «علام» بثقة:

- هل مع حضرتك أمر من النيابة؟

ابتسم الرجل بسخرية وهو يسأل «علام»:

- ومن حضرتك؟

أجابه «علام» بفخر:

- أنا رئيس التحرير، الأستاذ...

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

قاطعه الرجل بسرعة وهو يمسك بـ«سميح» من كتفه:

- سوف تأتي معنا أنت أيضًا يا رئيس التحرير.

بدا الذعر على وجه «علام» وهو يقول بتوسُّل:

- ليس هناك داعٍ يا أستاذ، خذوا «سميح» فقط.

اتسعت عينا «سميح» بدهشة من «علام» الذي تخلَّى عنه بأسرع مما يتخيل، قام متثاقلًا مع الرجل، بينما حاول «علام» التملُّص، لكن ذلك لم يفلح، قبل أن يخرجوا من الغرفة تفحص الرجل «كريمة» بنظره، فقال له «علام» متطوعًا:

- إنها تعمل معنا، هل تريدها؟

نظر إليه الضابط شزرًا قبل أن يقول لمن معه:

- هيا بنا، لن نظل طول اليوم هنا.

وخرجوا جميعًا من الغرفة وقد تنفَّست «كريمة» الصُّعَداء لأنها لم تذهب معهم.

* * *

في غرفة مكتب الضابط بمديرية الأمن، جلس «سميح» أمام المكتب يحاول أن يبدو متماسكًا، هو يعتقد أنه لم يفعل ما يستوجب العقاب، لكنه لم يستطِع أن يُخفي تلك الرعشة الخفيفة التي لاحظها الضابط وعلم منها أن «سميح» لن يتحمَّل، بينما لم يكن «علام» يتوقف عن الكلام منذ أن خرجوا من مقر الجريدة، حتى إن الضابط قال له في النهاية بعد أن مَلَّ منه:

- لو لم تتوقف عن الكلام سوف ألقي بك في الحجز.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ابتلع «علام» لسانه أخيرًا، بينما استطرد الضابط موجهًا حديثه بطريقةٍ ودودٍ لـ«سميح»:

- أنا الرائد «صلاح»، المسؤول عن قضية نائب القدر.

تأكدت ظنون «سميح» ونظر إلى «علام» بلوم وهو يقول للضابط:

- لقد حذرتهم وقلت لهم إنه يجب ألَّا يكون لنا علاقة بالقاتل.

نظر إليه «صلاح» بشك وأشعل لفافة تبغ ليأخذ منها نَفَسًا ويطلقه في وجه «سميح» وهو يقول له بسخرية:

- هل تعتقد أنني صدقت هذا الهراء الذي كتبته في الجريدة؟!

نظر إليه «سميح» بعدم فهم وهو يسأل:

- ماذا تقصد يا سيدي؟!

رد عليه «صلاح» بصرامة:

- أقصد أنني لا أصدق حرفًا مما ذكرته في الجريدة وأريد أن أعرف كيف عرفت تلك المعلومات عن القضية.

هنا تدخل «علام» قائلًا بغضب:

- لو سمحت يا «صلاح» بيه، نحن لا نسمح لك أن تتهمنا بالكذب، نحن جريدة محترمة.

نظر إليه «صلاح» بتوعُّد وقد كان على وشك أن يأمر بوضعه في الحجز، فعاد «علام» إلى صمته وهو يشير إليه بيده كناية عن الاعتذار،

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

عاد «صلاح» ببصره لـ«سميح» ينتظر منه ردًّا، بينما ظل ذلك الأخير لا يعرف بما يرد على ذلك الاتهام الذي سيوقع به نفيه، أو إثباته، في المشاكل..

عاد «صلاح» يقول له بلهجة عدائية:

- أريد أن أعرف يا «سميح» مصدر معلوماتك، ولا أريد لصبري أن ينفد فترى مني ما يسوءك.

ارتجفت شفتا «سميح» وهو يحاول أن يلملم الكلمات ويقول:

- والله يا «صلاح» بيه ما نشرته بالجريدة هو ما حدث.

نظر إليه «صلاح» بمزيج من الشك وعدم التصديق، قبل أن يقول له وهو يتأمَّل دوائر الدخان التي كان يصنعها بمنتهى المهارة من فمه:

- احكِ لي ما حدث بينك وبينه بالتفصيل الممل.

بدأ «سميح» في سرد ما دار بينه وبين القاتل منذ أول مكالمة حتى تلك المكالمة الأخيرة، حاول ألَّا ينسى أي شيء، حاول أن يبدو صادقًا، وعلى الرغم من أنه كان صادقًا بالفعل فإنه بدا على العكس من ذلك؛ لخوفه الشديد وتردده قبل كل كلمة..

انتهى «سميح» من سرد حكايته، بينما كان «صلاح» في تلك الأثناء يقلِّب في بعض الأوراق أمامه وهو يستمع إليه، قام «صلاح» صامتًا ودار حول المكتب، لأول مرة يتأمله «سميح».. كان أسمر قصير القامة، لكنه كان من الواضح عليه أنه قوي البنيان على الرغم من قصره، وقف بجانب «سميح» الذي حاول الوقوف، لكنه وضع يده على كتفه ليظل جالسًا ومال عليه ليقول له بصوت منخفض:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- هذه آخر مرة تنشر فيها أي شيء خاص بالقضية، هذه القضية النشر فيها ممنوع، ستكون تحت المراقبة، حتى إذا اتصل بك مرة أخرى حاول أن تطيل المكالمة معه وتستدرجه في الكلام قدر المستطاع.

هز «سميح» رأسه بخوف ولم ينبس ببنت شفة، فاعتدل «صلاح» ليقول له ولـ«علام»:

- هل تعرفان الذعر الذي أصاب الناس بسبب هذا الموضوع؟ بالطبع لا تقدّران حجم المشكلة التي تسببتما فيها، المهم أننا منذ الآن لا نريد نشر كلمة في هذا الموضوع، وكما قلت لك يا «سميح»، حاول أن تستدرجه.

هز «سميح» رأسه مرة أخرى، لكن هذه المرة كانت في حسرة وندم؛ لأنه دخل في هذه اللعبة رغمًا عنه.

* * *

سأل «كرم» «سعد» - الذي كان يجلس بجواره في السيارة وهما متجهان إلى مديرية الأمن - عن المجرم الملقَّب بنائب القدر، فقال له:

- أنا لا أعرف الكثير عن القضية؛ فالتحقيقات تتم في سرية تامة حتى لا نثير فزع الناس، لقد علمت من الإعلام أكثر مما علمت من الضباط في المديرية.

فعاد «كرم» يسأله وهو يحاول أن يركّز في سيره بالطريق؛ لأنه كان يسير بسرعة كبيرة:

- وكيف وصل الأمر إلى الإعلام وأنت تقول إن التحقيقات سرية؟

هز «سعد» كتفيه وهو يجيب:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لا أدري، هناك صحفي يدَّعي أنه على صلة بالقاتل ويتحدث إليه ويكتب عنه مذكراته، لا أدري مصداقية الأمر، لكن المقال الذي كتبه أثار ضجة كبيرة.

سأله «كرم» بلهفة:

- هل يمكنك أن تريني إياه؟

فكَّر «سعد» قليلًا قبل أن يجيب بحيرة:

- لا أدري؛ فأنا لا احتفظ بالصحف بعد قراءتها، لكن بالتأكيد سوف نجده في المديرية.

هزَّ «كرم» رأسه برضا وهو يسأل من جديد:

- مَن الضابط المسؤول عن التحقيق في القضية؟

أجابه «سعد» وهو ما زال لا يفهم سبب اهتمامه بها إلى هذا الحد:

- الرائد «صلاح».

تمعَّر وجه «كرم» وبدا عليه الارتياب، «صلاح» لا يطيقه ويرى أنه أخذ مكانة لا يستحقها بسبب صهره سيادة اللواء، ربما تكون الغيرة. والغيرة بين المرأة والرجل قد تجعل العلاقة بينهما تتوطَّد، أما بين الرجل والرجل أو بين المرأة والمرأة فتتحول إلى حرب ضروس..

توقَّع «كرم» أنه لن يستطيع الحصول من «صلاح» على الكثير من المعلومات؛ لذلك فعندما وصل مع «سعد» إلى المديرية فضَّل أن يبدأ بقراءة المقال الذي كتبه «سميح»..

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

كان ينتظر بغرفة مكتبه، بينما ذهب «سعد» للحصول على عدد الجريدة المكتوب فيه المقال، وقد نجح وعاد به فوضعه أمام «كرم» وهو يتساءل:

- ما سبب اهتمامك المفاجئ بهذه القضية؟

أجابه «كرم» بهمهمات غير مفهومة وهو يقرأ المقال، ففضَّل «سعد» الصمت وانتظاره حتى ينتهي من قراءة المقال، بعدما انتهى «كرم» من قراءة المقال ظل يفكر وهو شارد الذهن:

- هل كان الأمر ينقص هذا القاتل المخبول هو الآخر؟! وما علاقة هذا المخبول بـ«مازن»؟!

كان «سعد» ينظر إليه وينتظره أن يتكلم، فلما طال انتظاره سأله:

- لماذا أنت مهتم بهذه القضية هكذا يا «كرم» بيه؟

نظر «كرم» إلى الحائط الذي أمامه بشرود وهو يزفر في ضيق ويقول لـ«سعد» بحزن:

- لا أدري يا «سعد»، «مازن» هو من يريدني أن أهتم بها، وأنا في موقف لا يمكِّنني من رفض أي مطلب لـ«مازن»، لكني أريد المزيد من المعلومات.

فرد عليه «سعد» متسائلًا:

- هل تريد أن نذهب لسؤال «صلاح»؟

هز «كرم» رأسه نافيًا وهو يقول:

- لا أريد أن أتعامل مع «صلاح» الآن، سوف نذهب لزيارة الصحفي.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

فهز «سعد» رأسه في إذعان وهو يقول:

- لو أعرف فقط سبب ما نفعله!

فرد عليه «كرم» وهو يقوم من على المكتب:

- عندما أعرف سوف أخبرك.

وخرجا من الغرفة متوجهَين إلى الجريدة.

* * *

كان «سميح» جالسًا على مكتبه في حزن شارد الذهن يفكر في الورطة التي وقع بها، هو الآن شبه مُطارَد من القاتل ومراقَب من الشرطة، الإحساس بأن هناك من يراقبك إحساس قاتل، الإحساس بأن هناك من يعد عليك أنفاسك، من يرصد كل حركاتك، هذا الإحساس وحده كفيل بأن يحوِّل حياتك إلى جحيم؛ من أجل ذلك حتى في الحب يجب أن تترك لمن تحب مساحة من الحرية يمكنه أن يتحرك فيها ليشعر بأنه يعود إليك بإرادته..

كانت «كريمة» تنظر إليه من حينٍ لآخر ولا تجرؤ على الحديث معه أو محاولة التخفيف عنه، وكان هو الآخر ينظر إليها ولا يحاول أن يتكلم، حتى دخل العامل الوحيد بالجريدة، الذي يقوم بعمل كل شيء، من تنظيف وتحضير المشروبات وشراء ما يحتاجون إليه طول اليوم، فوضع مظروفًا أصفر كبيرًا أمام «سميح» وهمَّ بالرحيل، نظر «سميح» إلى المظروف برعب وارتد إلى الوراء وهو يقول للرجل بذعر:

- ما هذا يا عم «عوض»؟!

رد عليه الرجل بلا مبالاة:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- مظروف يا أستاذ «سميح».

رد عليه «سميح» بضجر:

- أعلم أنه مظروف، ما الذي يوجد به؟

هز الرجل كتفيه بعدم اكتراث وهو يجيب:

- وكيف أعرف؟ إنه مغلق.

فعاد «سميح» يسأله وهو يمسك بالمظروف:

- من الذي أرسله؟

عاد الرجل يجيب وهو يزفر بملل:

- لقد وجدته عند الباب مكتوبًا عليه اسم حضرتك، هل تريد مني شيئًا آخر؟

لم يجبه «سميح»، اكتفى بأن أشار إليه أن يذهب وبدأ في فض المظروف وهو يوشك على البكاء..

نفس طريقة الكتابة، نفس الورق، مر ببصره على الكلمات، اتسعت عيناه في دهشة، حتى إن «كريمة» سألته بقلق:

- ماذا كتب هذه المرة يا «سميح»؟

أجابها «سميح» بلهجة غير المصدق:

- اسمعي وسوف تعرفين.

وبدأ في قراءة ما كتبه نائب القدر هذه المرة.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

* * *

عشتُ وحيدًا، لم يكن لي إخوة أو أصدقاء، الشخص الوحيد الذي كان يهتم بي هو أمي، أما أبي فلم أكن أراه إلا نادرًا، هو إما في العمل وإما يقضي السهرة مع أصدقائه، ليعود آخر الليل مخمورًا، لتبدأ سهرة أمي..

سهرة أمي كانت تبدأ بالسباب من أبي المخمور وتنتهي بالضرب، صار ضربها كل ليلة من الأمور المألوفة والعادية، وأنا لا أستطيع الدفاع عنها؛ فأنا ما زلتُ صغيرًا، وهي كانت تصبر على تلك المعاملة لأنها تريد للحياة أن تستمر على أي حال من أجلي، تضحيتها المستمرة وصبرها جعلاني أكره نفسي وأتمنى لو لم أولد من الأساس..

أتذكَّر ذلك اليوم جيدًا، عندما عاد مخمورًا وضربها كعادته، لكن هناك شيئًا جديدًا حدث هذه المرة؛ لقد شج رأسها، رأيت دماءها تنزل ببطء على وجهها وتحوَّل لون شعر رأسها البني إلى الأحمر، توقعت أن يتوقف عن الضرب بعد أن رأى الدماء، لكنه خيب ظني ولم يفعل، بل استمر بالضرب وزاد من قوته، لم أستطِع أن أتوقف مكتوف الأيدي أكثر من ذلك، حاولت أن أحميها بجسدي وتلقيت عنها معظم الضربات، حاولَتْ أن تبعدني عن طريقه خوفًا عليَّ، لكني تشبثت بها كأنها هي الحياة، تلقَّيت ضرباته باستمتاع غريب، لم أكن أعرف أن التضحية ممتعة إلى هذا الحد، لم أكن أعرف أن الدفاع عن شخص تحبه فيه تلك النشوة..

انتهى من ضرب كلينا، أنهكه الضرب فينا فذهب، لكني لم أكن أشعر بأي ألم، لم أكن أشعر بأي تعب، كل ما كان يهمني أن أطمئن على أمي، كانت شبه فاقدةٍ للوعي، ضمدتُ جراحها وحاولتُ أن أساعدها لأضعها على فراشها لتنام..

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

عدت إلى غرفتي فتمددت على فراشي وظللت أحدِّق في سقف الغرفة، لا أعرف هل نمت أم سمعت صوته وأنا مستيقظ، كانت هذه هي المرة الأولى التي يحدِّثني فيها؛ لذلك فلم أعرفه على الفور، لكني لم أرهبه، كان يريدني أن أعمل معه، كان يراني مناسبًا لهذه الوظيفة العظيمة..

هناك من يظل طول حياته يتعلم ويعمل ليصل إلى مكانة مرموقة، لكني لست كالآخرين، لقد جاء القدر بنفسه وطلب مني العمل معه، منذ الآن لن أنتظر أن يأتيني حل مشاكلي من السماء، سوف أحوِّل أنا المقادير، سوف أعيد بناء الحياة كيفما أشاء..

وسوف تكون بدايتي مع ذلك الرجل الذي من المفترض أنه أبي.

* * *

قاطعته «كريمة» قائلة له بعدم فهم:

- ماذا يعني هذا الكلام؟

لم يرد عليها «سميح» فاستطردت:

- هذا الكلام غير الكلام الذي قاله في المرة الأولى.

ظل «سميح» ساكنًا لا يرد، فاستطردت بغضب هذه المرة:

- لماذا لا تقول أي شيء؟!

أجابها «سميح» بحسرة:

- وماذا أقول؟ إنه قاتل مخبول، لكننا لم نكن نتوقَّع أن يكون مخبولًا لهذه الدرجة.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

قطع حديثهما صوت جرس هاتفه، نظر «سميح» إليه، رقم غريب، وكان كما توقع، رد بصوت مرتعش فسمع الصوت الرخيم الهادئ يقول له:

- كيف حالك يا «سميح»؟

حاول «سميح» أن يرد، لكنه لم يستطِع، فاستطرد نائب القدر:

- لقد وصلك المظروف، متى سيتم نشر القصة؟

أجابه «سميح» هذه المرة بصوت ينضح بالكذب:

- سوف نقوم بالنشر، لكن هناك بعض المشاكل.

فترة من الصمت مرت كانت كفيلة بتدمير أعصاب «سميح»، ليسمع بعدها صوت الرجل يسأله بهدوء:

- هل ذهبت للشرطة؟

أحس «سميح» كأن هناك من ضربه بعصا حديدية على رأسه، رد وهو يحاول أن يتمالك أعصابه:

- لا، لكن التحقيق الصحفي الأول حقق ضجة كبيرة ويبدو أن...

قاطعه الرجل بصرامة:

- يجب نشر ما أرسلته إليك، لقد اتفقنا.

ثم أغلق الخط على الفور، كان «سميح» يتساءل: علام اتفقنا؟ أحس كأن هناك جبالًا من الهموم تجثم على رأسه وصدره، لم يكن في حاجة للمزيدٍ من الهموم عندما دخل «عوض» يخبره بأن هناك ضابط شرطة

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ينتظره بالخارج، فأمره «سميح» بإدخاله على الفور، دخل الضابط فقال له وهو يسلِّم عليه:

- أنا المقدم «كرم».

رد عليه «سميح» على الفور:

- حضرتك تعمل مع الرائد «صلاح».

فكَّر «كرم» قليلًا قبل أن يرد عليه:

- نعم.

فاستطرد «سميح» بلهفة:

- لقد اتصل بي نائب القدر وأرسل إلي خطابًا.

فقال له «كرم» وهو يُجلسه ويجلس معه ليفهم بالتفصيل ما حدث:

- وأنا جئت إليك من أجل ذلك، أريد أن أعرف منك كل ما تعرفه عن نائب القدر هذا.. دون كذب بالطبع.

فبدأ «سميح» بسرد الحكاية من جديد، و«كرم» يستمع بإنصات؛ لأن حياته أصبحت تعتمد على المعلومات التي سيعود بها لـ«مازن».

* * *

وقف «كرم» أمام باب المصحة، ومن خلفه وقف «سعد» ينتظره أن يدخل، لكنه وقف ينظر إلى المصحة بتردد حتى سأله «سعد»:

- ألن تدخل؟

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

زفر «كرم» في ضيق وهو يجيب:

- بلى سأدخل.

دخل «كرم» يتبعه رفيقه الذي قال له بتعجب:

- أنا حتى الآن لا أعرف علاقة قضيتنا بنائب القدر.

رد عليه «كرم» بصدق:

- أنا أيضًا لا أعرف، وأتمنى أن أعرف.

لم يكن «كرم» قد أخبر أحدًا عن مرضه حتى الآن، حتى زوجته لا تعرف عنه أي شيء، وصلا إلى غرفة «مازن» فوجداه يجلس في هدوء مع ممرضة تراقبه، وفور أن رأتهما وقفت وهي تنظر إليهما بترقُّب، قال لها «سعد» من دون أن يلتفت إليها:

- أين الدكتورة «جمالات»؟

ابتسم «كرم» رغمًا عنه، ما زال اسم الدكتورة الذي لا يتناسب مع شكلها يُضحكه، على الرغم من كل شيء، أجابت الممرضة وهي تهم بالخروج من الغرفة:

- أظنها تتابع حالة أخرى، سوف أخبرها بوصولك.

فور أن خرجت من الغرفة، تنبهت حواس «مازن» ونظر إلى «كرم» وقال:

- أرى أنك اهتممت بالموضوع.

رد عليه «كرم» وهو يبتسم في حسرة:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- وهل يمكنني ألا أهتم؟!

عاد «مازن» يسأله:

- وماذا وجدت؟

كان «سعد» ينظر إليهما بدهشة وعدم فهم، «مازن» يتعامل مع «كرم» وكأن ذلك الأخير يعمل عنده، الأغرب أن «كرم» مذعن ولا يعترض، بدأ «كرم» في سرد كل ما عرفه عن نائب القدر والحكايات المتضاربة التي أرسلها للصحفي، عندما انتهى ابتسم «مازن» في رضا وقال له:

- المعلومات التي حصلت عليها ليس لها أي أهمية، لكني كنت أريد أن أعرف هل اهتممت بالموضوع أم لا.. حسنًا.

ثم سكت بعض الوقت قبل أن يضيف بالهدوء نفسه:

- سوف يقتل نائب القدر الصحفي الليلة، ربما الآن أو بعد ساعات، هل يمكنك أن توقف ذلك؟

نظر إليه «كرم» بعدم فهم للحظات قبل أن تتسع عيناه بذعر وينطلق من الغرفة وهو يأمر «سعد» بأن يتبعه، «سعد» الذي جرى خلفه وهو لا يفهم أي شيء حتى الآن.

* * *

أي مُخبِر يحترم نفسه يجب أن يجد أقرب كشك ويجلس إلى جواره، وهذا ما فعله «طه»، المخبر الذي عيَّنه «صلاح» لمراقبة «سميح»، وكان هذا خطأً فادحًا من «صلاح»، الذي لم يتوقَّع أن تتطور الأمور واكتفى

مكتبتك Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

بتعيين مخبر واحد فقط لمراقبة «سميح»، سوف يعرف بعد قليل الخطأ الذي وقع فيه..

كان «طه» يجلس في ملل على كرسي خشبي أمام الكشك الموجود بالقرب من منزل «سميح»، كان عمله يعتمد على الانتظار والصبر، اعتاد الأمر لسنوات عمره الطويلة في الانتظار، طول سنوات انتظاره لم يحدث أي شيء، تعلَّم أن يُنفق وقت المراقبة والانتظار في التفكير في أي شيء، هو من الجيل الذي كان يراقب من الثقب في الجريدة، أقصى ما يُسلي به نفسه ذلك المذياع الصغير الذي يحمله معه في أي مكان..

الشارع مزدحم لأنها منطقة شعبية فقيرة، لكن البيت الذي يقطن فيه «سميح» في زقاق ضيق متفرع من الشارع، زقاق مظلم، ومن السهل أن ينتظر فيه أي شخص دون أن يلحظه أحد، كانت مهمة «طه» تنتهي عندما يصل «سميح» إلى البيت؛ لذلك فعندما رآه قادمًا من بعيد فرح، سوف يتأكد من أنه صعد إلى شقته وينتهي الأمر، سوف يعود إلى زوجته ليأكل وينام أخيرًا، شيء سيئ أن يكون موعد انتهاء عملك مرتبطًا بعودة شخص لا تعرفه إلى بيته..

اقترب «سميح» من الزقاق فدخله، قام «طه» من أمام الكشك بعد أن سلَّم على صاحبه الذي كان يعرف أنه مخبر، وذهب في طريقه الذي كان عليه أن يمر فيه من أمام الزقاق..

على الرغم من الظلام، لمح «طه» ذلك الظل الطويل الواقف وهو يُمسك بياقة قميص «سميح»، استغرق «طه» ثانيةً قبل أن يصرخ في الظل وهو يحاول أن يُخرج مسدسه:

- ماذا تفعل عندك؟

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ترك الظلُّ «سميح»، فوقع ذلك الأخير على الأرض بلا حراك، لا يعرف «طه» هل ما زال حيًّا أم لا، فجأة وجد «طه» الظل أمامه، كأنه تحرك في لا شيء، أحس بيد حديدية تعتصره ليترك المسدس، أحس بجسده يرتفع في الهواء وصوت رخيم يقول له:

- لقد حنث بوعده، وأنت لم يكُن عليك أن تكون هنا الآن، لكنه القدر.

لا يعرف «طه» كيف قُتل، هل طعنه، أم ضربه على رأسه؟ هل سيفوته الطعام الذي حضَّرته زوجته الليلة؟ أسئلة كثيرة لن يجد الوقت الكافي ليحصل على إجاباتها..

المهم أنه مات، وأن نائب القدر خرج من الزقاق في هدوء، سوف يصل «كرم» بعد قليل.. لكن بعد فوات الأوان.

www.Mktbtk.uk

مكتبتك

مكتبتك لعمل الكتب اندرويد ورفعها على جوجل بلاي

كتب معرض الكتاب على موبايلك اثناء المعرض

يمكنك طلب اي كتاب على جوجل كتب فقط بربع الثمن

ان اردت رفع كتاب لك يمكن ان ترسل لنا على صفحتنا على فيس بوك (مكتبتك) او (Mktbtk.uk)

يوجد ايضاً افلام ومسلسلات بدون اعلانات على موقعنا

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الرحيل

دخل «صلاح» غرفة مكتب «كرم» غاضبًا بعد أن دفع بابها بقوة وهو يصرخ في «كرم» الذي كان يجلس على مكتبه مع «سعد»:

- لماذا كنت عند «سميح» في أثناء مقتله؟ ما شأنك أنت بهذه القضية؟

ردَّ عليه «كرم» ببرود من دون أن ينظر إليه:

- توجد علاقةٌ ما بين قضيتك والقضية التي أعمل عليها.

انفرج جانب فم «صلاح» الأيسر عن ابتسامة مستهزئة وهو يرد عليه:

- علاقة بين القضيتين! أم تريد أن تثبت فشلي في حل قضية نائب القدر؟ أنا أحذرك من العمل على هذه القضية، هذه القضية قضيتي أنا، أم تريد أن تثبت دائمًا أنك أفضل من الجميع؟

رد عليه «كرم» في حسرة وهو يهز رأسه في أسى:

- أنت لا تفهم أي شيء.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

فرد «صلاح» بغضب:

- بل أنت من تريد أن تصبح كل شيء، لولا صلة قرابتك بسيادة اللواء لما كان لك هذا الشأن.

كانت تلك هي الكلمات التي جعلت «كرم» يقفز من فوق المكتب وينقضُّ عليه ممسكًا بتلابيب قميصه، كأن «صلاح» قد ضغط على الزر الخاص بتحريك «كرم»، حاول «صلاح» أن يتخلص منه وهو يهدده، بينما ظل «سعد» يرقبهما بتوتر من دون أن يجرؤ على التدخل..

قال «كرم» لـ«صلاح» وهو يهزه بعنف:

- أنت لا تفهم أي شيء أيها الغبي، أنا مصاب بالسرطان، و«مازن» هو أملي الوحيد.

أحيانًا تكون هناك كلمات يتوقَّف عندها الزمن. اتسعت عينا «صلاح» وتوقف فجأة عن محاولة التملص من «كرم» بينما وقف «سعد» فجأة وترقرقت الدموع في عينيه وهو يسأل «كرم» في دهشة:

- ما هذا الذي تقوله يا «كرم» بيه؟

ارتخت يدا «كرم» من على قميص «صلاح» ورد على «سعد» وهو ينظر إلى الأرض:

- ما سمعته يا «سعد»، أنا مصاب بالسرطان و«مازن» هو أملي الوحيد.

تدخَّل «صلاح» في الحوار، وقد بدأ فجأة يشعر بالشفقة على «كرم»، يبدو أنه يجب أن يصاب المرء بالسرطان حتى تُحل مشاكله الإنسانية، قال «صلاح» بهدوء متسائلًا بعدم فهم:

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- كيف يكون «مازن» هو أملك الوحيد؟

زفر «كرم» وهو يجلس كأنه يقع على أقرب كرسي ويجيب وهو يضع رأسه بين كفيه:

- لا أدري كيف أخبركما! لكن لم يعد هناك مفر من إخباركما.. سوف أحكي لكما ما دار بيني وبين «مازن».

وبدأ في سرد كل شيء، لعلهما يساعدانه.

* * *

عندما انتهى «كرم» من سرد حكايته مع «مازن»، التي اضطر أن يذكر كل تفاصيلها لأن «صلاح» لم يكن يعرف أي شيء عنها، كان قد استغرق الكثير من الوقت، الصمت خيَّم على الغرفة.. حتى «سعد»، على الرغم من أنه كان في تلك الحكاية من البداية، فإنه لم يكن يعي ما وصلت إليه الأمور بين «كرم» و«مازن»، أما «صلاح» فلم يكن قادرًا على استيعاب أي شيء، لم يكن من السهل أن يصدِّق ذلك المزيج الغريب المسمى «مازن»..

قال «كرم» لرفيقيه بالغرفة وهو يحاول أن يستشف رأيهما في الأمر:

- ما رأيكما فيما سمعتما؟

فجأة وجد «سعد» نفسه في جانب واحد مع «صلاح» الذي لا يستريح له، نظرا إلى بعضهما كأنهما يطلبان الرأي من نفسيهما، قال «سعد» موجهًا حديثه لـ«كرم» وهو يتذكر الأحداث التي مر عليها أكثر من عام:

- تتذكر عندما قلت لك إنني أشك في أن «مازن» ممسوس؟!

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

هزَّ «كرم» رأسه كناية عن تذكره تلك الحادثة جيدًا، فاستطرد «سعد»:

- أظن أن شكي كان في محله.

فأطرق «كرم» ببصره ولم يرد، بينما قال «صلاح» فجأة:

- هل تتوقعان أن أصدِّق قصة الخيال العلمي التي حكيتها الآن؟

نظر إليه «كرم» في صمت ولم يجب، لم يكن يعلم بما يجيب، لم يكن لديه القدرة على المجادلة أو محاولة الإقناع، استطرد «صلاح» بحيرة:

- فلنفترض أنها حقيقية، ما العلاقة بين «مازن» ونائب القدر؟

هزَّ «كرم» كتفيه بما يعني عدم معرفته، لكنه استحسن أن فرضية صدق حكايته أصبحت مطروحة، قال «سعد» لـ«صلاح» مشجِّعًا:

- لماذا لا تأتي معنا لمقابلة «مازن»؟

نظر إليه «كرم» بلوم، لكن «سعد» استطرد بثقة وحزم:

- ليس لدينا وقتٌ يا «كرم» بيه، يجب أن نحدد ما سنفعله بالضبط وبأسرع وقت ممكن، لو كان «مازن» بالفعل قادرًا على شفائك فيجب أن نتحرَّك، ولو كنا نريد نائب القدر فليس أمامنا سوى الاستعانة بـ«صلاح»، وقبل أن نستعين به يجب أن يقتنع.

التقت عينا «كرم» عيني «صلاح» فعلم منهما استحسان فكرة «سعد» وموافقة مبدئية على مقابلة «مازن».

* * *

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

مزيجُ الرهبة والكآبة والخوف والترقُّب، هذا هو المزيج الذي ينتاب «كرم» كلما جاء إلى المصحة، هذه المرة جاء ومعه «صلاح»، المتشكك، وبالطبع «سعد» الذي لا يتركه، كانوا يسيرون إلى غرفة «مازن» كأنهم مجموعة انتحارية سوف تقوم بتفجير نفسها بعد قليل، لم يعترضهم أحد؛ لأن الجميع يعرف طبيعة عملهم.. طرقات على باب غرفة «مازن» من باب الواجب ليس إلا، فهم سيدخلون على كل حال..

فور أن دخلوا وجدوا «مازن» برفقة الممرضة التي ترافقه، تعلقت عينا «مازن» بـ«صلاح» وقال لـ«كرم» بحدة:

- ما الذي جعلك تأتي بـ«صلاح»؟!

كان هذا السؤال كافيًا حتى يقتنع «صلاح» بأن «مازن» ليس طبيعيًّا، أجاب «كرم» بتلعثم كأنه طفل صغير يعتذر إلى أبيه:

- سوف يفيدنا في الحصول على المعلومات التي نحتاجها عن نائب القدر.

زفر «مازن» في ضيق ولم يرد، فتذكر «كرم» الممرضة التي كانت تنظر إليهم بفضول وعدم فهم، حتى أمرها «كرم» بالخروج من الغرفة ليستطيع التحدث مع «مازن» بأريحية.. أشار إليهم «مازن» أن يقتربوا منه، ولما اقتربوا قال لهم هامسًا:

- ما عدت أشعر به.

نظر «كرم» إلى رفيقيه بتساؤل قبل أن يسأل «مازن»:

- تشعر بمن؟!

أجاب «مازن» وهو ينظر إلى سقف الغرفة:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- نائب القدر.. يبدو أنه ابتعد كثيرًا.

عاد «كرم» يسأله:

- وما المطلوب مني؟

ابتسم «مازن» ابتسامة ماكرة وهو يجيب:

- يجب أن أعود الليلة إلى الشقة.

رد عليه «كرم» على الفور سائلًا إياه بفزع:

- أي شقة؟

أجابه «مازن» وعلى وجهه الابتسامة نفسها:

- الشقة التي قُتلت بها «مي».

فعاد «كرم» يسأله بقلق:

- وكيف تريد أن تعود إلى الشقة؟!

هنا تسعت ابتسامته وهو يجيب ببراءة مفاجئة:

- العم «كرم» سوف يأخذني إلى هناك.

رد عليه «كرم» وهو موشك على البكاء:

- ومن قال لك إن العم «كرم» سوف يفعل هذا؟

أجابه «مازن» بالطريقة البريئة نفسها:

- لأنه ليس لديه خيار آخر.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

نظر «كرم» لرفيقيه كأنه يستجدي منهما المشورة، لكنهما كانا ينظران إلى الحوار وكأنهما يشاهدان ديناصورًا حيًّا، وعلامات البلاهة بادية عليهما مِن فغر الأفواه واتساع الأعين والصمت المطبق..

عندما يئس «كرم» من أن يحصل على أي رد فعل منهما، سأل «مازن» بإذعان:

- ماذا تريدني أن أفعل؟

أجاب «مازن» بفرح:

- سوف تنتظرني عند بداية الشارع المؤدي إلى المصحة في الثانية بعد منتصف الليل.

فعاد «كرم» يسأله:

- وماذا سأفعل هناك في ذلك الوقت؟

لم يرد عليه «مازن» وبدا كأنه منشغلٌ باللعب، فزفر «كرم» في ضيق وقال لرفيقيه:

- هيا بنا.

فسأله «صلاح»:

- ماذا سنفعل؟

أجابه «كرم» بملل:

- سوف نذهب لنعود في الثانية.

قال له «صلاح» بدهشة:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- بهذه البساطة؟!

هز «كرم» رأسه وهو يرد عليه:

- ليس أمامنا حلٌّ آخر، ما دام أعطانا هذا التعبير فلن يتحدث معنا مرة أخرى.

وخرج «كرم» مع رفيقيه، لكنه لم ينسَ أن يلقي نظرة أخيرة على «مازن» الذي كان منشغلًا باللعب، وكأنه طفل عادي.

* * *

ضرب «كرم» عجلة القيادة بيدية بغضب فجأة وهو يتمتم:

- ما هذا الذي نفعله؟!

كان جالسًا في سيارته في المكان الذي اتفق على انتظار «مازن» فيه، نظر إليه «صلاح» الذي كان يجلس بجانبه ولم يعلق، بينما سأله «سعد» الذي كان يجلس على الأريكة الخلفية:

- ماذا هناك يا «كرم» بيه؟

أجابه «كرم» بحنق:

- ما هذا الذي نفعله؟ إننا نخالف القانون من أجل طفل مريض.

نظر إليه «صلاح» بلوم قبل أن يقول:

- لقد كنت تعتقد بالأمس أنه خارقٌ للطبيعة!

زفر «كرم» وكان سيقول شيئًا ما، لكن نظرة الدهشة التي ارتسمت على وجه «صلاح» جعلته يصمت وينظر فورًا عن يساره حيث كان

مكتبتك Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

«صلاح» ينظر، كان «مازن» يقف بهدوء بجانب السيارة وهو ينظر إليهم من خلال زجاجها، انتفض «كرم» ونزل مسرعًا من السيارة بمجرد أن رآه، أمسكه من ذراعه برفق وأدخله السيارة، بعد أن استقر «مازن» على الأريكة الخلفية بجانب «سعد» قال لهم وهو يبتسم:

- هل تأخرت عليكم؟

نظروا إليه جميعًا بترقُّب ولم يرد عليه أحد فاستطرد:

- بعد ذلك، أريد أن أجلس بجانب «كرم» وهو يقود السيارة.

زفر «كرم» في ضيق وقال له:

- تحت أمرك يا سيد «مازن»، إلى أين سنذهب؟

قاطع «صلاح» «مازن» من قبل أن يجيب ليسأل بقلق:

- كيف خرج «مازن» من المصحة؟!

انفجر «مازن» ضاحكًا، كانت هذه هي المرة الأولى التي يضحك فيها «مازن» بهذه الطريقة، رد «كرم» على «صلاح» وهو يبتسم بمرارة:

- هل هذا هو الشيء الوحيد الغريب في هذه القضية؟!

فهز «صلاح» رأسه ولم يعقِّب، بينما قال «مازن» الذي كان قد توقَّف عن الضحك:

- هيا بنا إلى منزل «مي»، بسرعة.

أدار «كرم» محرِّك السيارة وانطلق بها إلى حيث الشقة التي لم يذهب إليها منذ أكثر من عام، شقة القتيلة..

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ظل الصمت هو سيد الموقف طول الطريق، «كرم» ينظر إلى الطريق شبه الفارغ بعين خاوية و«صلاح» يراقب الطريق هو الآخر؛ لأنه يرى شرود «كرم» ويخشى أن يرتطم بهم في أقرب شجرة أو عمود إنارة، بينما كان «سعد» يخطف بعض النظرات لـ«مازن» الذي كان يجلس بلا مبالاة، عندما وصلوا إلى العقار الذي كانت «مي» تقطن به تذكر «كرم» الحارس الذي سيسألهم عن سبب وجودهم أو على الأقل سيرى «مازن». اقترب «كرم» من بوابة الحديقة الخارجية المحيطة بالعقار، كانت مغلقة، لكن سورها القصير يمكن القفز من فوقه بسهولة، المشكلة الحقيقية ستكون في بوابة العقار نفسه، التي كانت - لحظه العاثر - مغلقة.

كانوا جميعًا قد قفزوا من فوق السور وينتظرون الطريقة التي سيفتحون بها البوابة من دون إيقاظ الحارس، حتى سألهم «مازن»:

- ماذا تنتظرون؟

أجابه «كرم» هامسًا:

- نريد أن نفتح الباب دون إيقاظ الحارس.

وضع «مازن» يده في جيب بنطاله وأخرج سلسلة مفاتيح ناولها لـ«كرم» وهو يقول له:

- هذه مفاتيح البوابة والشقة.

أخذ «كرم» المفاتيح منه بسرعة من دون أن يسأله عن الطريقة التي حصل بها عليها، فتح البوابة وهو يحاول ألا يُصدر أي صوتٍ ثم أغلقها برفق، صعدوا جميعًا الدرج بقفزات متتالية، اقترب «كرم» من باب الشقة، فتحه لتستقبله رائحة العطن التي تتميز بها الشقق التي لم تُفتح منذ فترة طويلة..

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

دخلوا وأغلقوا الباب وراءهم، وقف الرجال الثلاثة خلف «مازن» ينتظرون أن يروا ما سيفعله..

بدأ «مازن» الحركة ببطء وهو يقول كأنه يتحدث إلى نفسه:

- لقد دخل من هنا منذ عام.. تحرَّكَ بثقة كأنه يعرف المستقبل.

كان في حالة أشبه بالغيبوبة أو السُّكْر، تحرك نحو غرفة النوم التي قُتلت بها «مي» وهو يقول:

- تحرك نحو غرفة النوم وأمسك بهذا المقبض.

أمسك «مازن» بمقبض باب غرفة النوم.. وفجأة كأنه أصابته رعشة كهربائية وبدأ يرتعش. تسمَّر «صلاح» و«سعد» في مكانهما بينما فكَّر «كرم» في الاقتراب منه، لكنه أحجم خوفًا في آخر لحظة..

التفت إليه «مازن» واستند عليه منهكًا، كان يبدو أنه سيقع على الأرض فأمسك به «كرم» ونزل على ركبتيه ليكون في مستوى وجهه.. قال له «مازن» بصوت منهك:

- إنه على الشاطئ، بجانب تلك القلعة.

سأل «صلاح» بلهفة:

- يقصد مَن يا «كرم»؟ وأي شاطئ؟

استطرد «مازن» وكأن «صلاح» لم يتحدث:

- يجب أن أقترب منه حتى أراه أفضل.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

فجأة أحس «كرم» بصداع شديد فوضع يده على رأسه وهو يتأوَّه، فوضع «مازن» يده هو الآخر على رأس «كرم» وهو يقول له:

- لقد وعدتك بأن أُريحك.

زال الصداع بعد لحظات، فنظر «كرم» بدهشة لـ«مازن» الذي استطرد:

- لكن بعد أن أحصل على نائب القدر.

هنا سمعوا تلك الطرقات على باب الشقة، التي جعلتهم ينظرون جميعًا في فزع تجاهه.

* * *

كان يجلس على شاطئ «الإسكندرية»، ذلك الشاطئ القادر على أن يوحي لأقل الناس موهبةً بأعظم الأفكار، يتأمَّل أمواج البحر المتلاحقة بسكون، كأنه تمثالٌ من صخرة مثل التي يجلس عليها، كانت قامته الفارعة وجلسته بمفرده مدعاةً للفت الأنظار، لكن الوقت كان متأخرًا، والجو باردًا والحركة على الكورنيش تكاد تكون منعدمة، عندما ضرب ببصره عن يمينه لاحظ هذين العاشقين، يجلسان ملتصقين ببعضهما كأنهما يستعينان بدفء مشاعرهما على برودة الجو، ابتسم في سخرية ونزل من على صخرته وتوجه نحوهما..

سار ببطء وثقة حتى وقف أمامهما مبتسمًا بلزوجة وهو يتأملهما بوقاحة، حتى نظر إليه الشاب وسأله بتحدٍّ لأنه كان يعتبره يهينه إهانةً بالغةً أمام حبيبته:

- هل هناك شيء ما؟

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أجابه بصوته الرخيم والابتسامة لا تزال كما هي على وجهه:

- هل تعتقد أنك تحبها؟

نظر الشاب إلى رفيقته بدهشة قبل أن يعود وينظر إليه من دون أن يرد، فاستطرد هو موجهًا حديثه للفتاة:

- لو كان يحبك بحق لما جاء بك إلى هنا في هذا الوقت المتأخر من وراء أهلك.

احمرَّ وجه الشاب غضبًا وقال له بحدَّة:

- هذا ليس من شأنك، احتفظ بمواعظك لنفسك.

اتسعت ابتسامته وهو يرد عليه:

- هذه ليست مواعظ، هذه حقيقة؛ فالحب ليس له وجود، الحب مجرد تعبير يبدو مهذبًا عن الرغبة، أنت تفعل هذا كله لأنك تريد شيئًا منها، هي تعرفه وتعرف جيدًا أنك تسيرُ معها من أجله، سوف تحصل عليه في النهاية لكن يجب أن تتعب حتى لا تعتقد أنها رخيصة.

انتفض الشاب واقفًا وانقضَّ عليه وهو يقول له بغضب:

- أيها الوغد الحقير.

لكن الشاب ارتد فجأة للوراء ووقع على الأرض وكأنه قد ارتطم بجدار زجاجي لا يراه أحد. ارتعد الشاب ونظر إليه بخوف بينما ظلت الفتاة مكانها ساكنةً لا تتحرك، اقترب منه وقال له بهدوء:

- لا تخَفْ، ساعتك لم تحِن بعدُ.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

وابتعد عنه بهدوء وهو يتمتم بكلمات لم يفهمها الشاب الذي قام من على الأرض وهو لا يفهم ما حدث، لكنه شعر أنه كان على وشك الهلاك، وكم كان صادقًا في شعوره.

* * *

تجمَّدوا جميعًا في أماكنهم ونظروا إلى «كرم»، بمن فيهم «مازن»، ينتظرونه أن يتصرَّف، هزَّ «كرم» كتفيه بما يعني قلة حيلته، لكنه استجمع رباطة جأشه مرة أخرى واقترب من الباب بخفة حتى لا يسمع خطواته من بالخارج، كان يأمل ألا يعيد ضرب الجرس والطرق على الباب مرة أخرى، لكن ذلك لم يحدث، عاد الطرق على الباب من جديد وسمع «كرم» صوت «تامر» البواب يسأل رفيقه:

- هل حضرتك متأكد يا بيه أن هناك من دخل الشقة؟

فيرد عليه الرجل:

- نعم، وما دام لا يرد فهو لصٌّ بالتأكيد.. لقد شككت في الأمر من البداية.

هنا قرر «كرم» أن يحاول أن يُنهي هذا الموقف حتى لا يتعقَّد أكثر من ذلك، فتح باب الشقة بسرعة وهو يرسم على وجهه أعتى علامات الصرامة، بمجرد أن رآه البواب وضع يده على جبهته بطريقة التحية العسكرية وهو يقول بتلعثم:

- «كرم» بيه! لا تؤاخذنا.. لقد اعتقدنا أنك شخص آخر.

فقال له «كرم» بصرامة:

- هل تريدون شيئًا ما؟

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أجابه البواب وهو يتقهقر للوراء:

- لا يا بيه، تفضل أكمل عملك، يبدو أننا قاطعناك.

انسحب البواب ومعه الساكن بسرعة، فأغلق «كرم» الباب وقد تنفَّس الصُّعَدَاء، عاد إلى المجموعة التي كانت تجلس في ترقُّب، سأله «صلاح» بلهفة فور أن رآه:

- من الذي كان يطرق الباب؟

أجابه «كرم»:

- يبدو أن هناك من رآنا ونحن ندخل وأخبر البواب.

فأشار «صلاح» إلى «مازن» وهو يقول لـ«كرم»:

- هل يريد الجلوس مزيدًا من الوقت هنا؟

رد «مازن» هذه المرة وهو يتوجه نحو باب الشقة:

- هيا بنا إلى الشاطئ.

فكر «كرم» قليلًا قبل أن يسأل «مازن»:

- لو أريتك صورة القلعة، هل ستعرفها؟

هز «مازن» رأسه بالإيجاب، فقال لهم «كرم» وهو يتوجه ناحية الباب من جديد:

- هيا بنا، يجب ألَّا نضيع المزيد من الوقت.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

خرجوا من الشقة وأصر «مازن» أن يُغلق الباب بنفسه ويحتفظ بالمفتاح معه، نزلوا الدرج بسرعة وكان أولهم «كرم» الذي لمح البواب واقفًا في انتظاره، توقف وقال لـ«صلاح» هامسًا:

- سوف أحاول أن أشغل البواب وأنت مُر بـ«مازن» من دون أن يراه، اجعله بينك وبين «سعد».

فهز «صلاح» رأسه متفهمًا، اقترب «كرم» من البواب فوقف ذلك الأخير على الفور وهو يقول له معتذرًا:

- لا تؤاخذني يا سيدي، كنت أعتقد أن هناك لصًّا بالشقة.

أشار «كرم» من طرف خفي لـ«صلاح» بالتحرك وهو ينظر في عيني البواب ويقول له بصرامة حتى يلفت انتباهه:

- لو كنت تقوم بواجبك جيدًا لما حدث ما حدث.

ارتعد البواب وسأله بخوف:

- وما الذي حدث يا سيدي؟

رد عليه «كرم» وهو يلمح «صلاح» يمر ومَن معه مِن جانبه:

- الذي حدث.. الذي حدث.. لا يهم الآن.. سوف أخبرك في وقت لاحق، لكن لا تخبر أحدًا أننا جئنا إلى هنا.

وهمَّ بالانصراف، لكن البواب قال له بحماس:

- لا تقلق يا سيدي، لن أخبر أحدًا أن حضرتك أو حتى «مازن» كنتما هنا.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

التفت إليه «كرم» بحسرة قبل أن ينطلق إلى سيارته حيث كان ينتظره الجميع، سأله «صلاح» بحماس:

- هل رأى «مازن»؟

أجابه «كرم» على الفور:

- نعم.

فتبدلت حماسة «صلاح» على الفور، بينما استطرد «كرم»:

- نحن في حاجة إلى حماية.

واستطرد وهو يدير المحرك:

- وسوف نحصل عليها.

وكان ينوي أن يضيف رجلًا أخيرًا إلى هذه القضية.

* * *

جلس «صلاح» و«سعد» في أحد أركان صالة الاستقبال بفيلا اللواء «فتحي» يراقبان «مازن»، بينما جلس «كرم» في ركنٍ آخر مع والد زوجته يحاول أن يشرح له أبعاد القضية وما وصلوا إليه حتى الآن، كان يتوقَّع أن يُبدي «فتحي» اعتراضًا أو اندهاشًا، أن يتهمه بالجنون أو المرض النفسي من كثرة عمله على هذه القضية، لكن ذلك الأخير ظل يستمع إليه دون أن يبدو عليه أي تعبير، ظل «فتحي» صامتًا حتى انتهى «كرم» من سرد حكايته كاملةً، فسأله:

- وهل عرفت المكان الذي يقصده «مازن»؟

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أجابه «كرم»:

- نعم، أظنه يقصد «الإسكندرية».

زفر «فتحي» قبل أن يقول لـ«كرم»:

- حسنًا، سيكون علينا السفر إلى هناك.

فسأله «كرم» بدهشة:

- هل تصدق ما حكيته لك؟!

هز «فتحي» رأسه بالإيجاب، فاستطرد «كرم»:

- كيف تصدق تلك الحكاية بهذه السهولة؟!

أجابه «فتحي» وهو يبتسم:

- عندما تعمل مثلي طول عمرك على هذه القضايا سوف ترى أشياء لو حكيتها لمن لم يرها لظن أنك مخبول أو كاذب، في حياة كل واحد منا قضية يمكن أن نطلق عليها قضية العمر، منا من يقابلها وهو صغير السن ومنا من يقابلها بعد أن يفنى عمره ومنا من لا يقابلها، «مازن» هو قضية عمرك، الحالات الغريبة مثل «مازن» موجودة وقابلت مثلها من قبلُ، لكننا ببساطة لا يمكن أن نذكرها في التقارير الرسمية؛ لأننا لا نذكر إلا الأشياء القابلة للقياس، الإنسان لا يستريح عادة للأشياء غير القابلة للقياسات المادية.

فعاد «كرم» يسأله:

- وموضوع الورم؟!

نظر إليه الرجل بإشفاق وهو يقول:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لا أدري ماذا أقول لك، لكن هل أمامنا حل آخر؟ ربما لا تعرف غلاوتك عندي، أنت عندي بمثابة الابن يا «كرم».. سوف أساعدك بكل ما أملك.

اكتفى «كرم» بهز رأسه، بينما نظر «فتحي» إلى «مازن» الذي كان يجلس في سكون وقال:

- «مازن» هذا ليس طفلًا عاديًا، أظنه يعرف الكثير وسيتكلم في النهاية، لكن هل عرفت العلاقة بينه وبين نائب القدر؟

أجابه «كرم» بشك:

- أظن أن نائب القدر هو من قتل «مي»، لكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا قتل «ممدوح» نفسه؟! غير أنه كانت هناك بعض الأدلة التي تشير إلى أن «ممدوح» هو القاتل، لو تكلم «مازن» فسيريحنا كثيرًا.

فعاد «فتحي» يقول له:

- و«مازن» يربط شفاءك بالحصول على نائب القدر.

فهز «كرم» رأسه موافقًا، فأضاف «فتحي» على الفور:

- حسنًا، علينا إذًا الذهاب إلى «الإسكندرية» كما يريد «مازن».

سأله «كرم»:

- لكن كيف يراه «مازن»؟ كيف رأى مرضي؟ كيف سيشفيني؟

هزَّ «فتحي» كتفيه وهو يرد عليه:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لا أدري، ولا أعرف مدى قدرات «مازن»، لكن ما نعرفه الآن أننا يجب أن نسير معه حتى نهاية الطريق.

فجأة قام «مازن» من على الأريكة التي كان يجلس عليها وتوجَّه نحو «كرم» ليقول له بجدية:

- هل سنظل نتساءل هكذا كثيرًا أم سنتحرك؟

فنظر «كرم» إلى «فتحي» الذي قام متوجهًا إلى غرفته وهو يقول:

- سوف أقوم بترتيب حقيبتي وإحضار مفتاح شقة إسكندرية.

اختفى «فتحي» في الدور العلوي، بينما ظلوا جميعًا مع «مازن»، لا يدري «كرم» لماذا لم يستطِع مقاومة رغبته في سؤال «مازن»:

- لماذا لا تتكلم يا «مازن»؟ لماذا لا تخبرنا بما حدث؟

مع أنه يعرف أن «مازن» لن يرد عليه، لكن «مازن» ابتسم وقال له:

- «كرم».. اسمك جميل.

هذه المرة ابتسم «كرم» في مرارة ويأس.

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الآن يحكي

أخذوا هذه المرة سيارة اللواء «فتحي» الكبيرة ذات الدفع الرباعي، التي ستكون أنسب للسفر، قادها «كرم» وقد أصرَّ «مازن» على الجلوس إلى جواره، بينما جلس اللواء «فتحي» بجانب «صلاح» و«سعد» على الأريكة الخلفية، وجود «فتحي» معهم كان مُطمْئِنًا لهم، جلسوا جميعًا في ترقُّب وصمت حتى خرجوا من حدود القاهرة وبدأ الطريق الصحراوي في الظهور، كانوا جميعًا صامتين عندما قال «مازن» فجأة بصوت حزين:

- هل تعرف يا «كرم» ما هو أكثر ما يحزنني؟

تنبَّه الجميع وأصغوا السمع لـ«مازن» الذي كان لا يتكلم إلا مع «كرم»، كأنهم غير موجودين، رد عليه «كرم» وهو يحاول أن يركز في الطريق:

- ما ذلك الشيء يا «مازن»؟

زفر «مازن» في ضيق وقال:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- أنني يجب أن أدفع ثمن أخطاء لم أرتكبها، هذا يُشعرني بالظلم، أشعر كأني أعاقَب على خطأ لم أرتكبه.

فسأله «كرم»:

- ماذا تقصد يا «مازن»؟

فزفر «مازن» من جديد وهو يقول له:

- لقد بدأ كل شيء بعد أن أخذني والدي أول مرة وذهب بي إلى «شريف»، كنت صغيرًا جدًّا، لا أدري كيف أتذكَّر كل شيء بالتفصيل! لكن ما حدث حُفر في ذاكرتي ولم أعد أستطيع التخلُّص منه، أصبح جزءًا مني، حتى إنه استمر معي، كان في البداية لعبة، حتى إن كانت قاسية لكنها كانت مسلية، أما الآن فأنا لم أعد أحتمل الأمر ويجب أن يتوقف حتى أستريح.

وبدأ في سرد كيف بدأ الأمر.

* * *

لقد تركوني معك في الظلام.. وحدي معك في الظلام.. كنت في البداية أخشاك.. كنت أصرخ إليهم حتى يُخرجوني من عندك.. لكنك صرتَ الآن أفضل صديقٍ لي.. وقد دفعت ثمنًا غاليًا لهذه الصداقة.. كذلك دفع الجميع.. هل أنت معي يا «شريف»؟

* * *

كان «ممدوح» يجلس في الملهى الليلي كعادته، يجلس على ذلك الكرسي الطويل مستندًا على الطاولة التي يطلقون عليها «البار»، يطلب كأسًا تلو الأخرى والنادل ينظر إليه بقلق؛ لأنه من خبرته السابقة يعلم جيدًا

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أن مَن هم على حالة «ممدوح» ينتهي بهم الأمر بمشكلة كبيرة، هو لا يهتم كثيرًا لـ«ممدوح» أو غيره، لكن كل ما يهمه ألَّا تحدث مشاكل في مكان عمله، كان ذلك عندما اقترب ذلك الشاب فارع الطول شديد النحافة، كان فاحم الشعر أسود العينين، لا تحتاج إلى نظرة ثانية إلى وجهه حتى تخشاه أو ترتاب فيه، وضع يده على كتف «ممدوح» وسأله بهدوء:

- كيف حالك يا «ماجد»؟

كان النادل يعرف «ممدوح» جيدًا، لكنه لم يتعجب لأن ذلك الشاب يناديه بهذا الاسم، هو لا يكترث كثيرًا لأفعالهم، إنهم من مجتمعٍ آخر وعالمٍ آخر غير الذي ينتمي إليه، ذلك بالطبع غير الخمر التي تلعب برؤوسهم.

* * *

فقال له «عبد المحسن»:

- كانت الشخصية الأخرى لـ«ممدوح» اسمها «ماجد»، لكن ربما كان عنده كثيرٌ من الشخصيات.. هو لم يبدأ العلاج إلا منذ فترة وجيزة.. لذلك فلم أكن قد عرفت الكثير بعد.

* * *

نظر «ممدوح» إلى الشاب ولم يرد عليه، كان الحزن باديًا عليه، حتى إن الشاب أعاد عليه السؤال فأجاب «ممدوح» ممتعضًا وهو يبتسم بسخرية:

- إنها تفضل عليَّ ذلك الحقير الفقير، على الرغم من أنه سافر فإنها لا تزال تفكِّر فيه، لقد سمعت أنه عاد وفهمت أنها تريد مقابلته.

سحب الشاب كرسيًّا وجلس إلى جواره وهو يقول له بلا مبالاة:

مكتبتك Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- اتركها يا «ماجد»، يمكننا الحصول على من نريد، اختر أي واحدة أجمل منها، لا يوجد أكثر من النساء.

طأطأ «ممدوح» رأسه بحسرة وهو يقول له:

- لا يمكنني يا «شريف».. لا يمكنني.

ربت الشاب الذي اتضح أن اسمه «شريف» على كتفه وهو يقول له بحنان وشفقة:

- لا تفعل هذا بنفسك يا «ماجد»، لا توجد امرأة تستحق.

رد عليه «ممدوح» وهو موشك على البكاء:

- لكني لا أستطيع العيش من دونها.

فقال له «شريف»:

- معظم الأشياء التي تتملكنا تدمّرنا.

فهز «ممدوح» رأسه وهو يتساءل:

- وماذا أفعل يا «شريف»؟ كما قلت لك فأنا لا أستطيع العيش من دونها.

زفر «شريف» في ضيق وهو يقول له:

- سوف أحاول أن أعيدها إليك.

التمع الأمل في عيني «ممدوح» وهو يسأله:

- كيف ستفعل ذلك؟

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أجابه «شريف»:

- أنا لا أعدك بنجاح الأمر، لكني سأحاول.

فعاد «ممدوح» يسأله بلهفة:

- وماذا ستفعل؟

تردد «شريف» قليلًا ودارت عيناه في محجريهما قبل أن يقول له:

- أنا في حاجة لشيء يربط بينكما.

سأله «ممدوح» في عدم فهم:

- ماذا تعني؟

أجابه «شريف» بوضوح وبطريقة مباشرة:

- أريد «مازن».

ارتسمت على وجه «ممدوح» علامات الدهشة قبل أن يسأله:

- وماذا تريد من «مازن»؟!

أجابه «شريف» بصوت كالفحيح:

- يمكنني أن أجعلها تحبك، لكني في حاجة إلى أقرب شيء لها، ومن يمكن أن يكون أقرب من «مازن»؟!

مكتبتك
Mktbtk.uk

فعاد «ممدوح» يسأله بقلق:

- وماذا ستفعل به؟

ابتسم «شريف» وهو يجيبه:

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لا تخَفْ، سوف نلعب معه لعبة ظريفة.

اعتبرها «ممدوح» دعابة سمجة ولم يضحك، بينما كان الأمر بالنسبة لـ«شريف» مجرد لعبة، لكنه سيتحوَّل بعد ذلك إلى سلسلة من المصائب.

* * *

على الرغم من الخلافات الكثيرة التي كانت بين «ممدوح» و«مي» فإنها رحَّبت بفكرة خروج «مازن» معه وحدهما على الفور، كانت تريد أن تتخلَّص من مسؤولية «مازن» ولو لفترة وجيزة.. حتى هذه اللحظة لم يكن يظهر على «مازن» ما يدعو للريبة أو يشير إلى أنه ليس طفلًا طبيعيًّا، كان قد تخطَّى الرابعة بقليل، ذلك السن الجميل الذي يبدو فيه الأطفال كأنهم محاكاة للملائكة، خاصةً لو كان الطفل في جمال «مازن».

لم يكن «ممدوح» يتحدث إليه، كان يمسك بيده ويسير به إلى السيارة في صمت وكأنه يمسك بدمية بلا روح، أجلسه إلى جواره و«مازن» ينظر إليه في ترقُّب، ينتظر أن يتحدث إليه أو يداعبه كما يفعل كل الآباء، لكن ذلك للأسف لم يحدث..

لم يكن «مازن» كثير الحركة، بل كان يميل للهدوء؛ لذلك ظل طول الطريق هادئًا، يُمضي الوقت في مراقبة السيارات التي كانت تمرُّ بجوار سيارة والده..

وصل «ممدوح» إلى تلك البناية الشاهقة في ذلك الحي الراقي فأوقف سيارته تحتها ونزل منها وأنزل «مازن»، تلفَّت «مازن» حوله في فرح، كان يحب أن يخرج من البيت، خاصة مع والده أو والدته، وذلك ما كان يحدث نادرًا لانشغالهما بمشاكلهما، بحث «مازن» عن الألعاب التي سيلعب بها، لكنه وجد نفسه في شارع مثل الشارع الذي يقطن به، سأل والده ببراءة:

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- أين الألعاب؟

لم يرد عليه «ممدوح»، أمسكه من يده وجره معه إلى البناية، صعدا في المصعد إلى الطابق التاسع، لم يسألهما الحارس في صعودهما عن وجهتهما، بل كان يبدو عليه أنه يعرف «ممدوح» جيدًا، خرج «ممدوح» ومعه «مازن» من المصعد وتوجها إلى الشقة الموجودة في نهاية الرواق، الشقة بابها مصفَّح، عليه ورقة صغيرة مكتوب عليها بالإنجليزية بخط أنيق وصغير يشبه الزخرفة:

- لا تعبث مع الأقدار؛ فهي من تنتصر في النهاية.

جملة قد تبدو عميقة ومُرعبة، وقد تبدو تافهة لشخصٍ متحذلق يريد أن يبدو عميقًا، كان «ممدوح» يعرف أن جرس الباب لا يعمل فطرق على الباب بيده، لم ينتظر كثيرًا حتى فتح «شريف» الباب له وظهر بقامته النحيفة الفارعة، وشكله المخيف المقبض، بمجرد أن فتح الباب نظر إلى «مازن» بنشوة غريبة، كأنه وجد ضالته للتو، وقال له وهو يبتسم ابتسامة مخيفة:

- كيف حالك يا حبيبي؟

لم يرد عليه «مازن»، بل التصق بوالده وتشبث به خوفًا وخجلًا، مدَّ «شريف» يده وسلم على «ممدوح» وهو يقول له:

- كيف حالك يا «ماجد»؟

أجابه «ممدوح» بتوتر وهو يدخل الشقة:

- هل أنت متأكد مما تفعل؟

دخل «ممدوح» فأغلق «شريف» باب الشقة وهو يقول له بلا مبالاة:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- بالطبع غير متأكد، أنا فقط أجرّب.

كانت الشقة واسعة، صالة الاستقبال كبيرة وبها الكثير من الكراسي والأرائك، بالإضافة إلى لوحات غريبة معلقة تشير إلى حيوانات أسطورية وكائنات شيطانية، هناك على أحد الجدران مجموعة من رؤوس الحيوانات المحنطة، عادة غريبة وغير معتادة بالنسبة إلينا بالطبع، الستائر الداكنة المسدلة تمنع الضوء من الدخول فتجعل الإضاءة بالصالة خافته وكئيبة، أشار «ممدوح» إلى أحد الكراسي وطلب من «مازن» الجلوس عليه، فذهب وجلس عليه في هدوء ينتظر الألعاب التي وُعد بها، بينما قال «ممدوح» لـ«شريف» بحدَّة:

- ماذا تعني بأنك غير متأكد؟

أجابه «شريف» ببرود:

- أعني أنني سأجرب، هل عندك حل آخر؟

تأفف «ممدوح» وقال له على مضض:

- حسنًا، ماذا ستفعل بـ«مازن»؟

فنظر «شريف» إلى الطفل وهو يقول بسعادة:

- سوف أعرف عن طريقه ما تفعله «مي».

فحكَّ «ممدوح» رأسه بعدم فهم وهو يسأله:

- كيف ذلك؟

ضحك «شريف» ضحكة عالية جعلت «مازن» يلتفت إليه وهو يقول:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- وهل ستفهم ما سأفعله؟! أنا سأجرب وسنرى ما سيحدث.

تنهَّد «ممدوح» في استسلام ونظر إلى «مازن» الذي كان يجلس في براءة، لا يعرف ما سيحدث له.

* * *

اقتربت منه، كانت تريد أن ترتمي في أحضانه، لكنها لاحظت ذلك الظل الواقف عند الباب.. لم يكن ظل خالتها الضخم.. التفتت لترى «مازن» ينظر إليها نظرة غريبة.. كان هناك لهبًا أزرقَ يتحرَّك في مقلتيه.. لم تكن نظرة طفل صغير، بل كانت نظرة كراهية لا تصدر من طفل في الرابعة من عمره.. اعتدلت «مي» في جلستها فلاحظ «عمرو» وجود الطفل، فقال له بتردد بعد أن لاحظ نظرته:

- *«مازن» يا حبيبي.. كيف حالك؟*

ابتسم الولد في سخرية لا تتناسب مع عمره ولم يرد.

* * *

جلس «ممدوح» في الملهى ينتظر «شريف» الذي أتى في موعده ولم يتأخَّر عليه، سلم على «ممدوح» وقال له بمرح:

- لقد ذهبَتْ إليه في شقته وقابلَتْه.

نظر إليه «ممدوح» بغضب وسأله بتحفُّز:

- هل أنت متأكد؟

أجابه «شريف» بتلك الابتسامة السمجة:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- بالطبع متأكد، لقد كان «مازن» معها.

فهز «ممدوح» رأسه بحسرة وهو يردد:

- لقد عرفت عن طريقه إذًا! يبدو أنها لن تتوقف عند حدٍّ معين.

قال له «شريف» بطريقة مستفزة:

- اتركها يا «ماجد»، ما دامت لا تريدك.. اتركها.

رد عليه «ممدوح» بغضب:

- لا يوجد شيء اسمه لا تريدني، أنا لن أسمح لها بذلك، ضعف «ممدوح» معها هو السبب، سأريها ماذا سأفعل بها.

ابتسم «شريف» في رضا وهو يقول:

- كل شيء بقدرٍ يا «ماجد»، وهذا قدرك، وهي تذهب بجد إلى قدرها، «مي» هالكة لا محالة.

ضرب «ممدوح» الطاولة التي كان يجلس عليها بقبضته وهو يقول بغيظ:

- لا أدري، لا أدري ماذا فعلت بي!

رد عليه «شريف»:

- من أجل ذلك زادت المشاكل بينكما وأصبحت تطلب الطلاق بصورة مباشرة، أنت لم تخبرني بهذا، لكن «مازن» يرى كل شيء.

رد عليه «ممدوح» متلعثمًا:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لقد طلبت الطلاق من «ممدوح» الذي يضعف أمامها دائمًا، أنا أحصل منها على ما أريد رغمًا عنها، هي لا تستطيع أن ترفض لي طلبًا أو تقف في وجهي.

ابتسم «شريف» بسخرية وهو يقول:

- ماذا ستفعل معها بعد أن عرفت أنها تريد أن تعود لذلك الشاب؟

نظر «ممدوح» إلى الأرض ولم يرد عليه، كان «شريف» يعلم جيدًا أنه لن يجرؤ على فعل أي شيء معها، على الأقل الآن.

* * *

فأجابته «نورهان»:

- لحظٌ «مي» العاثر.. كنت في النادي في اليوم التالي لذهابي مع «مي» إلى الطبيب.. قابلت «ممدوح» هناك.. جلس معي كعادته يتوسَّل إليَّ كي أتوسَّط بينهما للصلح عندما مر طبيب «مي» بجانبنا.. سلم علينا وقال له:

- مبروك يا «ممدوح» بيه، لقد جاءت المدام ومعها آنسة «نورهان».. المدام بخير والجنين بخير.

لم يكن الطبيب يعرف أي شيء عن المشاكل التي بينهما، خاصة بعد أن رأى سعادة «مي» الشديدة بالحمل.

سألها «كرم» بلهفة:

- هل كان «ممدوح» يعرف بهذا الأمر؟

* * *

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

صار لـ«مازن» صديق جديد في وحدته، لا يعرف «مازن» كيف لا يراه أحد غيره، ولا يعتبر ذلك شيئًا غريبًا، ما يهمه أنه صار له رفيق في وحدته التي فُرضت عليه بعد إهمال أبويه له، ذلك الرفيق في البداية كان يُريه أشياء مسلية، لكن الأمر تغيَّر بعد ذلك..

لقد أصبح «شريف» يوقظه في أي وقت يريد، يتحدث معه في أشياء لا يفهمها، يطلب منه أن يتلصص على أمه وعشيقها، هو لم يعد يستطيع الرفض، أو لم يكن قد جرَّبه معه حتى الآن..

صار «شريف» يعرف كل شيء عن «مي» وينقله إلى «ممدوح»، و«مازن» يرى كل ما يحدث ويكبر أكثر من عمره بسنوات مما يرى، كما كان «شريف» يُريه بعض مغامراته في كثيرٍ من الأحيان..

حتى كان ذلك اليوم الذي ذهب فيه «ممدوح» إلى «شريف»، لم يكُن غاضبًا، بل كان موشكًا على الانفجار، ظل يطرق باب الشقة بعنف كأن الشياطين تطارده وستفتك به لو لم يدخل في الحال، فتح له «شريف» باب الشقة ونظر إليه ببرود دون أن ينطق بكلمة، أزاحه «ممدوح» من أمامه ودخل الشقة وهو يردد بغضب:

- الخائنة.. إنها حامل منه.

ابتسم «شريف» بسخرية وهو يرد عليه:

- أظنني قد أخبرتك أنه لا يبيت عندها حتى يلعبا الورق في الليل.

كان «شريف» يقصد أن يستفزَّه، كان يريد أن يرى ذلك الغضب الذي يراه الآن في عينيه، الغضب الذي سيسمح لـ«شريف» أن يستخدمه حتى يحقق ما يراه قدرًا لـ«مي»، هو يرى أن ساعتها قد اقتربت، يرى أن الموت

مكتبتك Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

يناديها، ضعف «ممدوح» نحوها هو ما يعطِّله، لكنه الآن غضبان، فلنستغل شعلة الغضب قبل أن تنطفئ..

ألقى «ممدوح» بنفسه على أقرب أريكة بطريقة العقارات المنهارة، كان فيما مضى آيلًا للسقوط لكنه الآن انهار تمامًا، ظل «ممدوح» صامتًا يتأمل حذاءه وكأنه أول مرة يرى حذاءً في حياته، حتى جلس «شريف» إلى جواره واقترب بفمه من أذنه ليقول له بهمس كالفحيح:

- يجب أن نتخلَّص منها، «مي» لن تعود، وأنا أرى أن ساعتها قد حانت.

لم يظهر على «ممدوح» أي رد فعل، بل ظل كما هو يستمع ولا يحرِّك ساكنًا، وفي النهاية عقد العزم على أمر ما.

* * *

فسأله «كرم»:

- «شريف» من؟

فأجابه «مازن»:

- «شريف» اتصل بي على هاتف ماما وأخبرني أن أفتح الباب.

* * *

جلس «ممدوح» متوترًا في السيارة، بينما أمسك «شريف» بالهاتف وهو يسأله:

- هل أنت متأكد من أن الهاتف مع «مازن»؟

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أجابه «ممدوح» بثقة:

- لقد أخذته من دون أن ترى «مي» وخبأته في غرفة «مازن»، هو الآن فقط من يعرف مكانه، لكني أريد أن أسألك سؤالًا.

نظر إليه «شريف» منتظرًا للسؤال فاستطرد «ممدوح»:

- كيف تُريه هذه الأشياء كلها وتحتاج الهاتف لتجعله يفتح الباب لك؟!

ابتسم «شريف» في سخرية وهو يجيبه:

- هل تريدني أن أفعل كل شيء؟ يجب أن يكون لي شريك، أنت الآن شريكي، واتصالي من هاتفك يجعلك مساهمًا في هذا العمل النبيل.

لم يعلِّق «ممدوح» على كلامه، فقط نظر إلى باب العقار ليتأكَّد من أنه ليس هناك أحد يراهما، بينما اتصل «شريف» بـ«مازن» وطلب منه أن ينتظره خلف باب الشقة.. أغلق «شريف» الخط وظل ساكنًا بعض الوقت، و«ممدوح» ينظر إليه نظرة تعني: هل هذا كل شيء؟! بعد فترة من الصمت والترقب قال له «شريف» بهدوء:

- سوف تنتظرني هنا.

نظر إليه «ممدوح» بتوتر قبل أن يسأله:

- وماذا ستفعل أنت؟

ابتسم «شريف» بسخرية قبل أن يجيب وهو يفتح باب السيارة:

- تسأل أسئلة غريبة بعد فوات الأوان يا «ماجد».

وترجَّل من السيارة ليصعد البناية وهو يردد:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- كل شيء خلقناه بقدر.. فعال لما يريد.. يقف ويرعى بقدرة الرب.

* * *

قال «مازن» لـ«كرم»:

- لقد رأيت كل شيء، رأيت الدماء والسكين والمقص، كل شيء كان من تدبير «شريف»، كان يلعب.. يريد أن يوحي للجميع أن «ماجد» هو من فعلها، كان يرى أن ذلك شيء مسلٌ.

سأله «كرم» وهو ينظر بترقُّب إلى لجنة التفتيش التي يقترب منها:

- ولماذا لم تتحدث من البداية يا «مازن»؟

رد عليه «مازن» بلا مبالاة:

- ولماذا أتحدث يا «كرم»؟ كل شيء بقدر.. لم يكن من الممكن أن أقول غير ما يأمرني «شريف» به، هو الآن يعرف أنني تخلصت من سيطرته، هو الآن يعرف أنني أريد أن أوقع به.

كان «كرم» قد توقَّف بالسيارة في اللجنة، نظر الضابط إلى السيارة بشك، طفل يجلس في المقدمة وثلاثة رجال في الخلف، قال لـ«كرم» بصرامة:

- رخصتك من فضلك.

زفر «كرم» في ضيق وأخرج هويته الشخصية، فور أن رآها الضابط تهللت أساريره وقال له وهو يشير إليه بالتحرك:

- تفضل يا باشا، لا تؤاخذني.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

فأومأ «كرم» برأسه وابتسم ابتسامة شاحبة وهو يتحرك بالسيارة، قال لهم بصوت مرتفع:

- سوف يعرفون وجهتنا.. سوف يعرفون أن «مازن» معنا.

رد عليه «فتحي» بسرعة:

- من أجل ذلك، يجب أن ننتهي من كل شيء بسرعة.

فهز «مازن» رأسه وهو يردد:

- كل شيء خلقناه بقدر.

ثم استطرد شاردًا:

- أعتقد أحيانًا أنني أشبهه.. على الرغم من كل شيء، لم أشعر بالألفة إلا معه.

ثم زفر بضيق وهو يضيف:

- مع «شريف».

* * *

جلس «أحمد ثابت» في الصف الأول من مقاعد المسرح بجانب المخرج يراقب تجارب الأداء لمجموعة من الشباب الذين أدوا أدوارًا ثانوية في بعض الأعمال الفاشلة من قبل.. كان في حاجة إلى مجموعة من الممثلين المساعدين، فيما مضى كان يكفيه أن يشير إلى أنه سيقوم بعمل مسرحية ليتهافت عليه كبار الفنانين، لكن كل شيء يتغير.. لا يبقى شيء على حاله.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

هو الآن في منتصف العقد السادس، لم يعد يُعرض عليه الكثير من الأدوار، وحتى تلك التي تُعرض عليه تكون أدوارًا ثانوية.. يقبلها حتى يستطيع الاستمرار في الحياة بمستوى أقل بكثير من ذلك المستوى الذي اعتاده أيام المجد.

كان يقضي الصيف في مدينة الإسكندرية، يعرض فيها مسرحيته التي كانت تلقى إقبالًا هائلًا وعندما ينحسر الزائرون عن تلك المدينة يعود لعرضها بأكبر مسارح القاهرة.

كانت مسرحيات تافهة في العموم.. ربما بها فكرة معينة أو كان هو يحاول أن تبدو كذلك، لكن يتم تقديمها بصورة ساذجة.. لكنها كانت من أفضل ما هو متاح لإمتاع الجمهور في تلك الأيام.

حتى حدثت ثورة الاتصالات، وصار من الممكن لأي شاب أن يصنع فيلمًا قصيرًا ويرفعه على شبكة المعلومات.. علم الجمهور فقر الموهبة الذي كان يتمتع به معظم الممثلين، عندما عزفوا عن مشاهدة تلك الأشياء.. عزف المنتجون عن تمويل مثل تلك الأعمال التي أصبحت خاسرة.

المسرحية الجديدة التي سيكون «ثابت» بطلها كان سيطلق عليها «الورطة».. ثم تذكَّر أنه قام بالتمثيل في مسرحية بذلك الاسم من قبل فأطلق عليها «المشكلة».. مسرحية تحكي عن مشكلة بالتأكيد.. لا يهم ما المشكلة.. أي مشكلة ويظهر هو في دور خادم يقوم بحل تلك المشكلة وإطلاق بعض النكات السخيفة.

لم يرضَ أحدٌ من المنتجين بتمويل ذلك العمل، فقام «ثابت» نفسه بالتمويل، وهو الآن يجلس لاختيار من سيساعده في التمثيل.. الفنانة «نيرمين عادل» هي فقط من وافقت أن تشاركه البطولة.. كانت نجمة هي

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الأخرى في يوم من الأيام قبل أن يكشف الجمهور أنها فقط تستغل بياض بشرتها.. بالطبع اكتشفوا ذلك بعد أن شارفت على الخمسين، هي ما زالت تصر على نفس طريقتها وممارسة أدوار فتيات العشرينات.. وفي مسرحية «المشكلة» ستقوم بدور الخادمة التي ستساعد «ثابت» وتحبه.

كان «ثابت» يبحث عن فتاة تقوم بدور ثانوي هو دور ابنة صاحب القصر الذي تدور فيه أحداث المسرحية.. عُرض عليه كثير من الفتيات اللائي كن يحاولن أن يصبحن مغريات – مع أن الدور لا يتطلب ذلك – فيصبحن أشبه بالقتلة المأجورين أو بأفاعي «الكوالا».. حتى الممثلون الثانويون الجيدون لا يقبلون العمل معه لتأكدهم من فشل العمل.

كان سينصرف بعض أن شعر بالضجر.. لكنه لمح تلك الفتاة الجميلة دقيقة الملامح التي تبدو عليها الرقة.. أشار إليها وهو يميل على المخرج ويسأله بهمس كأنه يتحدث إليه عن اختيار الفتاة التي ستقوم بدور «كليوباترا»:

- مَن تلك الفتاة؟ وما رأيك فيها؟

نظر المخرج من فوق نظارته، تلك النظرة التي كان يحاول بها أن يبدو عبقريًا:

- هي جميلة بالفعل.. لو ظهرت بقميص نوم في أحد الأفلام سوف تصبح نجمة الشباك في سنوات قليلة.

كان ذلك هو المعيار أو المقياس الذي يقيس عليه المخرج الذي لم يجد «ثابت» غيره بالطبع ليُخرج له المسرحية.. أشار إليها «ثابت» وهو يناديها بالضمير «أنتِ».. لم تصدق نفسها من الفرحة بينما نظرت إليها الأخريات

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

بحقد.. هرولت إلى الطرف الذي سيجعلها أقرب ما تكون منه وهي تسأله بفرح:

- حضرتك تقصدني؟!

رد عليها بمرح:

- لست أحولَ.. بالتأكيد أقصدك.

كان يحاول أن يبدو طريفًا في كل وقت وحين فيصبح شديد السماجة والتفاهة دائمًا.. ضحكت هي بطريقة مثيرة على الرغم من سماجة دعابته ولاحظت تلك اللمعة في عينيه.. لاحظت نظرته السريعة إلى نحرها وهو يقول:

- هل يمكنك القيام بذلك الدور؟

فهزت رأسها وهي ترفع حاجبيها المرسومين بعناية فائقة كأن وكالة الفضاء الأمريكية هي التي قامت بعمل الحسابات المناسبة للحاجبين! واتسعت عيناها الزرقاوان جرَّاء عدساتها الرخيصة.. بدت له فاتنة بحق في تلك اللحظة، كان يعلم أن كل شيء فيها مصطنع: لون شعرها، لون عينيها، حركاتها وطريقة كلامها.. كل شيء مصطنع، لكنها فَتَنته.. حتى إنها وهي تقوم بالدور كان كل ما يشغله صدرها الذي كان كأنه يريد الفرار من ذلك القميص شديد الضيق الذي كانت ترتديه دون حمالات للصدر.. قال لها وهو يلهث وعيناه على صدرها كأنه يتحدَّث إليه:

- أداؤك جيد.. بالطبع سوف نقوم بتدريبك، لكنه جيد.. ما اسمك؟

أجابت بتردد:

- «زبيدة».

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ظهرت على وجهه علامات الاشمئزاز المفاجئ.. مهما كان اسمها كان ذلك سيصبح رد فعله.. قال لها وهو يبتسم:

- سوف يكون اسمك من الآن «ناهد».

فأضافت على الفور:

- «ناهد ثابت».. لأن حضرتك مَن اكتشفني.

فابتسم برضا وظلت عيناه على صدرها وعقله يحلم بأشياء مريبة.

* * *

- تلك الفتاة تخرج باستمرار عن النص!

التفت «أحمد ثابت» وهو على كرسيه ليرى «نيرمين» التي دخلت عليه غرفته دون طرق للباب لتقول له تلك الكلمات بغضب.. نظر إليها نظرة خرساء مدعيًا عدم الفهم.. منتظرًا أن تضيف أي شيء، لكنها ظلت صامتة تنظر إليه بتحدٍّ منتظرة أن يرد هو على كلماتها الغاضبة بشيء يهدئها.. بعدما طال الانتظار رد عليها بهدوء مستفز:

- من تقصدين؟!

أجابته بغضب مضاعف لسؤاله الذي استفزها:

- «ناهد» هانم.. طفلتك المدللة!

كانت تقولها بمزيج من السخرية والتقريع، لم يكن هو يريد أن ينحو بهما الحديث إلى ذلك الطريق، لكن يبدو عليها أنها كانت غاضبة ومصرَّة على أن تتخذ قرارًا مصيريًّا بشأنها.. هي في الأساس قادمة والقرار في

مكتبتك Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ذهنها وتعرف جيدًا أنه لن يستطيع أن يعارضها، لا يوجد غيرها في هذه المسرحية كاسم شبه معروف.. رد عليها بحذر محاولًا تهدئتها:

- ليس إلى هذا الحد.. ما الذي أزعجك منها؟

أجابته على الفور:

- إنها تحاول الظهور على حسابي.. تخرج عن النص لتُضحك الجمهور ولا أدري كيف أرد عليها.. فأُكمل في النص لأبدو كالغبية أمام الجميع.

رد عليها مبتسمًا تلك الابتسامة الباهتة التي تدل على أنها على حق وهو يقول لها برفق بعد أن وقف إلى جوارها ليربت على كتفها:

- الأمر ليس إلى هذا الحد.. هي فتاة متوسطة الموهبة.. نحن فقط نساعدها.. كيف يمكن مقارنتها بنجمة مثلك؟!

هدَّأها نفاقُه بعض الشيء فقالت له بعد أن زفرت:

- حسنًا.. إذا كانت كذلك فلنتخلص منها ونحضر غيرها.. في الأساس دورها غير مؤثر.

تلعثم «ثابت» وهو يقول:

- بالطبع سوف نفعل ذلك.. لكن دعيها حتى نجد غيرها.

فابتسمت برضا واقتربت منه لتحاول أن تبدو مثيرة وهي تقول له بدلال:

- سوف أصبر من أجلك.. لكن لا تجعلني أغضب منك.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

كل ما شعر به نحوها في تلك اللحظة هو الشفقة.. التجاعيد التي تحاول أن تخفيها بعمليات التجميل، وذلك الكم الهائل من المساحيق، رآها بوضوح عند اقترابها.

هز رأسه بانزعاج وهو يبتعد ببطء حتى لا تلاحظ وهو يردد:

- لا تقلقي.. سوف أحذِّرها.

فمطت شفتيها بعدم اقتناع وخرجت من الغرفة، لينادي «ثابت» على مساعده الذي ما زال محتفظًا به منذ أيام سطوع نجمه، والذي أصبح راتبه يمثل مشكلة بالنسبة إليه.. طلب منه أن ينادي على «ناهد» التي حضرت مهرولة بعد لحظات لتُظهر له اهتمامها به.. كانت قد غيَّرت ثيابها الفاتنة التي تظهر بها على المسرح لترتدي ثيابها الفاضحة التي تعود بها إلى المنزل.. أجلسها على أريكة وثيرة وهو يقول لها:

- وصلتني شكوى من الأستاذة «نيرمين» عنك.

كان يحاول أن يتحدث بصورة رسمية فبدا مضحكًا، لكن «ناهد» بالطبع لم تنتظر المزيد.. انفجرت في البكاء على الفور.. كانت تُجهش بالبكاء فيهتز صدرها في القميص الضيق ويبدأ هو بتخيُّل تلك الأشياء المريبة التي تؤرقه.. جلس إلى جوارها وبدأ بالتربيت على كتفها وهي لا تزال تهتز دون أن تنزل دمعة واحدة حتى لا تفسد تبرجها.. قال لها بحنان:

- ما الذي يبكيك الآن؟

أجابت من بين نشيجها المصطنع:

- لا أدري لماذا تحاول الأستاذة «نيرمين» التخلُّص مني!

فرد عليها على الفور مطمئنًا:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- ومن الذي قال إنها تريد ذلك؟!

أجابته على الفور:

- واضح من كل شيء.. حتى نظراتها.. أشعر كأنها تريد أن تحرقني بنظراتها.

بالطبع لم تكن تريد أن تقول له مباشرة إنها تغار منها، لكنها أوصلت له المطلوب وهي تبدو كفتاة بريئة.. قال لها ويده لا تزال على كتفها:

- لا تقلقي.. لن يجرؤ أحد على التخلص منك ما دمتُ أنا هنا.

هنا وضعت رأسها على صدره على الفور وهي تقول له بدلال:

- لا أدري ماذا أقول لك.. أنت ملاك أرسله الله إليَّ من السماء.

في تلك اللحظة كانت أفكاره بعيدة كل البعد عن الملائكة.. خاصةً بعد أن ابتعدت بوجهها عن صدره بطريقة رأسيه لتضع عيناها في عينيه مباشرة، فيجد نفسه بطريقة لا إرادية يقبِّلها.. تركته يقبِّلها كما يريد وبعد أن أذاقته من شفتيها طويلًا دفعته برفق ورسمت على وجهها علامات صدمة زائفة وهرولت مسرعة من الغرفة.

بعد أن ابتعدت بما يكفي سارت وعلى وجهها ابتسامة منتصرة.

* * *

كانت فترة العطلة لمعظم المسارح جرَّاء موسم الامتحانات وانشغال المعظم بامتحانات الأبناء.. ناهيك عن أنه لم يعد أحد مولعًا بتلك النوعية من المسرحيات التي يقدمها «ثابت»، من أجل ذلك كان من الطبيعي أن يجلس بمفرده مع المخرج وهما يدَّعيان أنهما يقومان بإعادة ترتيب

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

المجسمات الخاصة بالمسرح، بينما الحقيقة أن تلك المسرحية فقط حتى لا يُطلق عليهما أنهما عاطلان.. قال «ثابت» للمخرج الذي كان جالسًا إلى جواره يراقب اللاشيء:

- أعتقد أن «نيرمين» لن تكون معنا الموسم المقبل.

قالها بطريقة حاول أن تكون طبيعية، فنظر إليه المخرج بتساؤل وهو يقول:

- ولماذا تعتقد ذلك؟

أجابه «ثابت» على الفور:

- هي تضع نفسها في مقارنة دائمة مع «ناهد».. لا تريد أن تُكمل إلا إذا طردنا «ناهد».

فقال له المخرج بطريقة تحمل في طياتها الكثير:

- وبالطبع لا يمكننا العمل من دون «ناهد».

تجاهل «ثابت» طريقته مدعيًا أنه لم يلحظ ذلك وهو يرد عليه بجدية:

- أنا فقط لا أحب طريقة ليِّ الذراع.. لا أحب أن يُرغمني أحدٌ على شيء.

فهَمْهَمَ المخرجُ وهو يرفع حاجبيه بكلمات لم يتبينها الرجل الذي أضاف:

- سوف نلغي دورها تمامًا ونستبدل دور «ناهد» به.

فسأله المخرج بمكر:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- وكيف سنفعل ذلك؟

أجابه «ثابت» على الفور:

- لا تقلق، سيتم التغيير بطريقة سهلة وسيضفي على المسرحية جانبًا جديدًا.. سوف نجعل «ناهد» هي التي تساعدني في حلّ المشكلة وتقع في غرامي في الوقت نفسه، وهذه ستكون مشكلة جديدة لأنها ابنة صاحب القصر الذي سيحترمني بعد حل المشكلة.

وبدأ في سرد الكثير من التفاصيل التي لم يكترث إليها المخرج كثيرًا، هو فقط كان يريد أن يتأكد من أن «ثابت» قد وقع في غرام تلك الفتاة التي صارت تتحكم فيه بالكامل.

* * *

جلس «ثابت» في شرفة شقته بذلك التجمع السكني الراقي، ذلك النوع من التجمُّعات التي تُشعر بعض قاطنيها بأنهم قد أصبحوا فئة ذات صفات خاصة.. فئة فوق أولئك الأوغاد الذين ما زالوا يعيشون في المدينة هكذا في بيوت لا يحيطها أسوار.

كان شارد الذهن، يستعيد الماضي الذي كان فيه أكبر نجم للكوميديا.. الآن تغيَّر كل شيء.. حتى وسط جيرانه لا يشعر بأهمية فائقة لتاريخه الدرامي.. كان يتوقع أن كل من يراه سيفقد وعيه من الفرحة على الفور، عندما لم يعد ذلك يحدث، اكتفى بذلك السلام الحار، الآن يكفيه تلك الابتسامة الباردة التي لا تنم عن شيء، في أغلب الأحوال لا يكترث إليه أحد.

يعيش الآن مع زوجته بعد أن تزوج ابنه الوحيد وفضل البقاء في الولايات المتحدة التي تعلَّم فيها، لم يكن صعبًا عليه الحصول على الجنسية مع زوجته الأمريكية.. لو تأخر زواج «أحمد ثابت» قليلًا لما تزوَّج من

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

زوجته الطيبة الساذجة التي بعد أن أصبح نجمًا مشهورًا لم تعد تلبي طموحاته.. ندم كثيرًا في فترة سطوع نجمه لزواجه منها، لكن بعد أن خفت بريقه علم قيمتها.

كان كل شيء سيمضي في طريقه الرتيب حتى الموت، لولا ولوج «ناهد» في حياته، الآن عاد التمرُّد على زوجته، الآن يشعر من جديد أنه قد أهدر حياته معها وهي لا تستحق.. يشعر بالظلم وأنه ضيَّع شبابه هدرًا.

القاسم المشترك بين جميع الرجال الذين يريدون أن يخونوا زوجاتهم: ادعاؤهم الإهمال من جانبهن.. ذلك كله لم يظهر إلا بعد ظهور «ناهد» في حياته.. «ناهد» التي حاول معها أكثر من مرة أن يذهب معها إلى أبعد حد، لكنها كانت تذيقه فقط.. كانت تعلم أنه لو حصل على كل شيء، ربما يزهدها، وهي لا تريد ذلك.

الآن فقط أصبحت فترة وجوده بالشقة فترة صراخ وإهانة مستمرة لزوجته التي شعرت بنيَّته، شعرت واستسلمت كعادتها، ظنتها نزوة كنزواته التي تحملتها في السابق.

لكنها لم تكن تتوقع أن الأمر سيتطوَّر إلى ذلك الحد.

* * *

مهما فعلت فلن تستطيع أن تمحو آثار الزمن.. ربما تبدو قويًّا.. لكنك لن تبدو شابًّا.. الزمن يأخذ من أرواحنا.. حتى النجوم الذين يبدون في صورهم أصغر سنًّا.. هم على أرض الواقع أكبر بكثير.

صبغ شعر رأسه المتبقي، وحاول الحلَّاق – الذي حصل على مبلغ من المال يكفي لحلق رؤوس أحد الأحياء الفقيرة – أن يُخفي صلعته قدر المستطاع.. ارتدى حزامًا حول بطنه ليُخفي كرشه.. ترك لحيته ليحددها له

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

الحلاق.. وضع المساحيق.. في النهاية أصبح مسخًا.. بدا كأضحوكة وهو جالس إلى جوار عروسه.

كانت «ناهد» ترتدي فستانًا مكشوف الصدر أظهر ما بعد النحر بكثير.. بلا أكمام بالطبع، ومع المساحيق بدت فاتنة بجانب «أحمد ثابت» الذي ظهر كمومياء.

الأمر لا يحتاج إلى خبير استراتيجي حتى تعرف أنها تريد الزواج منه لأي سبب، غير أنها قد وقعت في غرامه.. هي تعلم أن الجميع سيتحدث عنهما وتريد ذلك.

الفرح يمرُّ بين الغمز واللمز من الجميع كما هو متوقَّع.. لم يحضر أحد النجوم الكبار، وكان ذلك سيصيب العروس بخيبة أمل، لكن في اللحظة الأخيرة ظهر.

دخل يتقدمه حارسه الخاص.. النجم «أشرف فوزي».. فتى الشاشة الجديد وصاحب أكبر إيرادات.. لم تصدق العروس نفسها، قامت فرحة وسلمت عليه، فرحت كثيرًا عندما تعلق بصره بصدرها.. التقطت أكثر من صورة إلى جواره.

لو كانت الفائدة الوحيدة التي ستجنيها من زواجها التعرُّف على «أشرف فوزي» فيكفيها ذلك.

* * *

لم يعد أحد تقريبًا يعرض على «أحمد ثابت» أدوارًا منذ مدة طويلة.. ربما فقط في رمضان، الشهر الذي أصبح مخصصًا للمسلسلات دون سبب واضح أو مفهوم.. في ذلك الشهر فقط يمكن لـ«أحمد ثابت» الحصول على أحد الأدوار لكثرة الأعمال الدرامية المقدمة وانشغال المعظم، فلا يجدون

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

بُدًّا من الاستعانة به.. ما زال في كل أدواره يمثل بالطريقة البالية نفسها التي كانت تُضحك الناس قديمًا، لكنها الآن تجعله مجالًا للسخرية والانتقاد.

في هذا العام، الذي عرض الدور عليه صديقه الفنان الشاب المعروف «أشرف فوزي».. ما زال «أشرف» يتذكَّر أنه بدأ العمل معه كممثل مساعد وأنه هو من أعطاه الفرصة حتى صار نجمًا كبيرًا.. يعتبر ذلك من باب رد الجميل؛ لذلك فإنه يقدِّم له المساعدة بتلك الأدوار.. في البداية كان «ثابت» يرفض أن يعمل كممثل مساعد بعد أن كان هو الممثل الرئيسي في العمل، لكنه الآن لا يجد بُدًّا من الموافقة، خاصة بعد زواجه «ناهد» التي تحتاج إلى الزواج من مَصرف.

كانت «ناهد» تصر على الذهاب مع زوجها لمشاهدة جلسات التصوير وحتى يتسنى لها توطيد علاقتها بـ«فوزي»، هذا ما حدث.. حتى إنه أعطى لها دورًا ثانويًّا في فيلمه الجديد، لكنها بالطبع لم تحصل عليه بالمجان.

* * *

لم يكن «أحمد ثابت» - وهو جالس ينتظر خروج الطبيب من غرفة العمليات - قلقًا أو يذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا لتوتره على «ناهد» التي كانت تضع مولودها، الذي على الرغم من أنها كانت تعلم جيدًا أنه سيعطِّلها لبعض الوقت عن الوصول لمرادها فإن الغريزة انتصرت في النهاية.. هي تريد أن تصبح أمًّا على كل حال، أما «أحمد ثابت» فقد أفاق من غفوته منذ مدة طويلة.. عندما أصبح عاجزًا عن سد احتياجاتها.. هو لم يعُد شابًّا حتى يستطيع تحملها، لكنهما الآن بينهما طفل يجب أن يتحملها من أجله.

خرج الطبيب ليخبره بوصول المولود وأنه بحالة جيدة، فابتسم «ثابت» بطريقة روتينية لأن عليه ذلك.. دخل بعد قليل على زوجته التي

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

كانت بحالة جيدة فجلس على السرير إلى جوارها وأمسك بيدها وهو يقول لها بحنان:

- حمدًا لله على سلامتك.

تلفتت حولها بلهفة وهي تسأله:

- أين «شريف»؟!

أشار إلى مضجع صغير مخصص للمولود وهو يقول لها:

- هل ما زلتِ تصرين على هذا الاسم؟

لم ترد عليه، فقط أشارت إليه أن يحضره لها.. فأذعن لها.. حمل المولود ونظر إليه متفرِّسًا ملامحه.

لم يكن يشبهه بأي حال.. لكنه خرج للحياة للتوِّ، وأشكالهم تتغيَّر كثيرًا بعد ذلك.

«شريف» هو الاسم المفضل لـ«أشرف فوزي».. في الكثير من أعماله يستخدم هذا الاسم.

هل هذا الطفل يشبهه أم أن الأمر مجرد أوهام؟!

* * *

قال لهم «مازن» وهو شارد الذهن:

- «مي» هي «ناهد».. «شريف» هو «مازن».. ليس ذنبي أنها كانت أمي.. ليس ذنبه أنها كانت أمه.

نظروا إليه متسائلين ولم يفهموا مغزى كلامه.. إلى الآن.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

مكتبتك

مكتبتك لعمل الكتب اندرويد ورفعها على جوجل بلاي

كتب معرض الكتاب على موبايلك اثناء المعرض

يمكنك طلب اي كتاب على جوجل كتب فقط بربع الثمن

ان اردت رفع كتاب لك يمكن ان ترسل لنا على صفحتنا على فيس بوك (مكتبتك) او (Mktbtk.uk)

يوجد ايضاً افلام ومسلسلات بدون اعلانات على موقعنا

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

مطاردة

كان اللواء «نصر» يصرخ في مَن حوله مِن الضباط بغضب وقد احمرَّ وجهه غضبًا:

- ماذا يعني أن «كرم» و«سعد» والطفل قد اختفوا؟! لماذا أغلقوا هواتفهم النقالة؟! «حاتم»، عم الولد، في المصحة وحالته النفسية سيئة، يمكنه بنفوذه أن يقلب الدنيا، اختفاء الجميع بهذه الطريقة مريب.

رنَّ جرس هاتف مكتبه فرفع السماعة على الفور ليسمعه من حوله يقول بغضب:

- ماذا تعني بأن الولد كان معه؟ هل أنت متأكد من كلام البواب؟ «سعد» كان معه؟ أريد زوجته.. لا.. زوجة «كرم» هي ابنة اللواء «فتحي»، دعني أتصل به أولًا.. أريد معرفة الذي حدث بسرعة.

أغلق «نصر» الخط وقال لمن معه في المكتب بغضب:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لقد أخذ «كرم» الطفل وهرب.. هل يمكن لأحدكم أن يُفسِّر لي ما يحدث؟ ما الذي حدث لـ«كرم»؟ ولماذا كان في مكان مقتل الصحفي؟ أين «صلاح»؟ لقد طلبته.

رد عليه أحد الجالسين بخوف:

- إنه لم يأتِ اليوم أيضًا يا سيدي، وهاتفه مغلق.

ضرب «نصر» المكتب بقبضته وهو يصرخ فيهم:

- أريدهم جميعًا أمامي الآن.. اذهبوا من أمامي ولا تعودوا إلا بهم.

أومأ الجميع برؤوسهم وخرجوا، بينما أخرج هو هاتفه الشخصي ليطلب رقم اللواء «فتحي» ليسأله عن زوج ابنته ويستأذنه في استجواب «نسمة»، لكن غضبه وحيرته زادا عندما وجد هاتفه هو الآخر مغلقًا.

* * *

مرت أيام عليهم في شقة اللواء «فتحي» بمساكن الضباط.. كانوا جميعًا يجلسون حول «مازن» يراقبونه.. هذا فقط ما يفعلونه، مراقبة «مازن» الذي كان يجلس معظم وقته في الشرفة يستمتع بهواء البحر المنعش على الرغم من برودة الجو؛ فالشتاء يأتي في «الإسكندرية» أولًا..

كان «صلاح» يشعر بالضجر، هم لم يأتوا إلى هنا من أجل الترويح عن «مازن» ومراقبته وهو يتأمل البحر، كانوا كعادتهم يجلسون في الصالة يختلسون النظر إلى «مازن» في الشرفة عندما اقترب «صلاح» من «كرم» وسأله هامسًا بتوتر:

- إلى متى سنظل هكذا؟

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أجابه «كرم» من دون أن ينظر إليه:

- وما أدراني؟! أنا لا أعرف متى يقرر «مازن» أن علينا التحرك.

زفر «صلاح» وعاد ينظر إلى «مازن» الذي كان يجلس مغمض العينين كأحد كهنة التبت، كان يحاول أن يصبر، لكنه لم يستطِع السكوت أكثر من ذلك، عاد ليقول لـ«كرم» بغضب:

- لكننا لم نترك عملنا ونأتِ إلى هنا من أجل تأمُّل هذا الولد الذي يجلس طول النهار بلا حراك، بالتأكيد المديرية تبحث عنَّا وعن الولد، هذا الولد الغريب سوف يضيِّع مستقبلنا جميعًا.

كان «صلاح» غارقًا في الحديث ولم يلاحظ «مازن» الذي وقف إلى جواره يتأمله بتلك النظرة الخاوية.. ما جعله يلتفت إليه نظرة «كرم» اللائمة، اقترب «مازن» منه وربت على كتفه وهو يقول له:

- ما الذي أتى بك معنا يا «صلاح»؟

ابتلع «صلاح» ريقه بصعوبة ولم يرد، فاستطرد «مازن»:

- الغيرة هي التي دفعتك للمجيء معنا.

ظل «صلاح» ينظر إليه بترقُّب ولم يرد، بينما عاد «مازن» يقول له:

- أنت غير مقتنع بكل ما قد قيل، لكنك تخشى أن يكون «كرم» على حق ويحصل هو على كل المجد وحده.

ابتسم «كرم» وهو يهز رأسَه بتفهُّم، كان يعلم أن «مازن» على حق، وكان يشعر بكل ما قد قاله قبل أن يذكره، لكنه بالطبع لم يكن يجسر على قول مثل هذا الكلام لـ«صلاح»؛ فهو لا يريد أن يزيد الهوة بينهما.

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

تمتم «صلاح» ببعض الكلمات غير المفهومة، لكن يمكن ببساطة أن تتوقع أنه يريد نفي ما يتهمه به «مازن» الذي قال فجأة لـ«كرم» بمرح:

- أريد أن نخرج معًا، لقد مللت من الجلوس في الشقة.

نظر «صلاح» إليه بامتعاض، بينما رد «كرم» عليه بهدوء:

- لكن يا «مازن» نحن في مشكلة كبيرة، لقد جئنا إلى هنا من أجل ذلك القاتل، هل ما زلت تراه؟

فردَّ «مازن» بضجر وكأنه طفل طبيعي يتذلل إلى والده:

- أريدك أن تخرج معي في نزهة وسوف أخبرك بعدها بكل شيء.

أطرق «كرم» ببصره إلى الأرض في استسلام قبل أن يقول:

- حسنًا.. ارتدِ ثيابك، لنخرج الآن.

نظر إليه «مازن» بحزن قبل أن يقول له:

- لماذا لا تبدو متحمسًا؟

هز «كرم» كتفيه ولم يرد فاستطرد بحزن من جديد:

- أريدك أن تعاملني مثل «سامح».

شعر «كرم» فجأة كأن الدموع تتجمع في عينيه، لكنه ابتسم ابتسامة حزينة وهو يربت على رأس «مازن» بحنان ويقول له:

- هيا بنا يا «مازن».. سوف نخرج معًا.

فابتسم «مازن» ابتسامة عريضة وهو يقول:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- سوف نخرج جميعًا، أنا وأنت وجدي وعمي.

كان يشير إلى اللواء «فتحي» و«صلاح» و«سعد».. شعروا جميعًا فجأة بالأسى نحو ذلك الطفل، الذي يبدو أنه يبحث عن السعادة في أي شيء.

* * *

في أي محافظة مصرية تعلم جيدًا بمصريتها وتحترمها، يجب أن تجد ذلك الشارع المزدحم الممتلئ بالباعة الذين يرفعون أسعار السلع بأكثر من قيمتها بكثيرٍ، في انتظار أن يبدأ المشتري بالمجادلة في السعر لخفضه، كان شارع «خالد بن الوليد» هو من يقوم بتلك الوظيفة في مدينة الإسكندرية، ذلك الشارع الذي ستألفه أيًّا ما كانت المحافظة التي أتيت منها.

كان «مازن» يسير في الشارع بسعادةٍ بالغةٍ، ممسكًا بيد «كرم»، ومِن خلفهم يسير الثلاثة الباقون يتلفتون حولهم بحذر وكأنهم هاربون من الشرطة، هم بالفعل كذلك بطريقة ما.

كان «مازن» يشير إلى كثير من الأشياء.. لعبة تافهة، صينية بالطبع، عبارة عن طفل له ذراعان تتحركان بالتبادُل فتتحرك اللعبة في الماء، لعبة رخيصة و«مازن» كان يمتلك أفضل منها بكثير، لكنه طلب من «كرم» أن يشتريها له، طلب منه كذلك المثلجات، من رجلٍ يقف بعربة في الشارع، طلب كذلك أن يشتري له ملابس جديدة، والجميع يسير خلفه بإذعان، حتى مر الوقت وشعر «مازن» بالجوع فقال لـ«كرم»:

- أريد أن آكل، أشعر بالجوع الآن.

حكَّ «كرم» رأسه وهو يتلفت حوله ليفكر ماذا سيأكلون قبل أن يقول لمرافقيه:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- ماذا سنأكل؟ أنا فعلًا بدأت أشعر بالجوع.

رد عليه «صلاح» بغضب:

- هل سنظل طول اليوم نتنزه مع «مازن»؟!

أشار إليه «كرم» من طرف خفي أن يسكت، بينما رد عليه «مازن» بفرح:

- أريد أن نشتري ساندويتشات من هذا المحل ونجلس على الرصيف لنأكلها مثل هؤلاء الناس.

نظر «كرم» لمرافقيه كأنه يستشيرهم فقال له «فتحي» على الفور:

- فكرة جيدة، سوف أذهب أنا و«سعد» لشراء الطعام واجلس أنت و«صلاح» هنا مع «مازن».

جلس «مازن» بين «كرم» و«صلاح» على الرصيف مستندًا على «كرم» الذي وجد يده موضوعة على كتف «مازن» بحنان دون أن يلحظ ذلك، حتى لو كان الطفل يمتلك قدرات خاصة، حتى لو كان مَن حوله يعتقدون أنه ممسوس، إلا أن وضعه رأسه على ذراعك سيجعلك تنسى كل شيء وتعامله على أنه مجرد طفل..

تشبث «مازن» بذراع «كرم» وهو يقول له:

- أشكرك يا «كرم».. أنت أفضل صديق لي.

ابتسم «كرم» ابتسامة شاحبة ولم يرد، كان شارد الذهن يفكِّر في الورطة الموضوع فيها، استطرد «مازن» وهو ينظر إليه:

- يا ليتك كنت أبي.. أنا أحسد «سامح» عليك.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

تنبهت حواس «كرم» وأحس كأن هناك من دهس قلبه، كان «مازن» يتحدث ببراءة وصدق، نظر إليه «كرم» وهو يقول لنفسه إن هذا الطفل ضحية ليس أكثر من ذلك، لا يمكن أن يتحمل أكثر من ذلك، مرضه وشوقه لأسرته، الشفقة التي بدأ يشعر بها نحو «مازن»، «صلاح» السمج الذي يرقبهما كأنه يشاهد فيلمًا في إحدى دور العرض، وعليه أن يبدو قويًّا ومتماسكًا؛ لأنه بطريقة ما يُعتبر قائد الفريق..

احتضنه «كرم» وقبَّل رأسه.. لم يكن يتوقَّع أن تأتي تلك اللحظة التي يفعل فيها هذا.. بعد قليل عاد «فتحي» بالطعام وهو يتحدث إلى «سعد» بمرح، جلسوا جميعًا على الرصيف يأكلون بمرح وسعادة، كأنهم في رحلة حقيقية، وبعد قليل قال لهم «مازن» فجأة بجد:

- هيا بنا نعُد إلى الشقة حتى نستريح قبل لقائه.

نظروا إليه جميعًا بترقُّب قبل أن يستطرد:

- سوف نقابله الليلة.

واختفت الابتسامة من على وجوه الجميع.

* * *

المكان: حديقة المنتزه.. الزمان: بعد منتصف الليل.. تتعجب عندما تنظر إلى تلك المساحة الشاسعة.. هذه الحديقة كلها كانت لشخص واحد مدفون الآن تحت التراب.. الجميع يحصلون على المساحة نفسها تقريبًا بعد الموت.. بل يصير المرء من المحظوظين إذا وجد مكانًا آمنًا يُدفن فيه من دون إزعاج..

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

دخلوا الحديقة بالسيارة، لم يكونوا يحملون هَمَّ الدخول، ثلاثة رجال شرطة ولواء متقاعد، لو فشلوا في دخول أي مكان في أي وقت فمن يمكنه فعل ذلك؟! ما أزعجهم بالفعل قول «مازن» لهم بعد الدخول مباشرة:

- إنه ينتظرنا.. إنه يعلم بوجودنا.. يجب أن نترجَّل عن السيارة حتى نجده.

أوقفوا السيارة بعد أن توغَّلوا قليلًا ونزلوا منها ليبحثوا عن ضالتهم، كان «مازن» يمشي معهم مغمض العينين، كأنه منوَّم مغناطيسيًّا.. مشوا كثيرًا حتى قال لهم «مازن» فجأة:

- توقفوا.. يجب أن نفترق الآن.

تسارعت دقات قلوبهم ونظروا إلى بعضهم فاستطرد هو:

- «صلاح» سوف يذهب في هذا الاتجاه، «سعد» والرجل العجوز في هذا الاتجاه، أنا و«كرم» سنظل معًا، من يجده يتصل بالباقين.

ترددوا قليلًا وسأله «كرم»:

- ألم تعد تراه الآن؟! ألا تعرف مكانه بالضبط؟!

هز «مازن» رأسه وهو يجيب:

- إنه قريب جدًّا، لكني لم أعُد أستطيع معرفة مكانه بالضبط، لا يجب أن نضيِّع المزيد من الوقت.

عاد «كرم» يقول له:

- يمكننا الاستعانة برجال الشرطة وتطويق المكان.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

رد عليه «مازن» بسرعة:

- سوف يختفي قبل وصولهم، إنه يعتبر ما نقوم به لعبة يريد أن يلعبها معنا.

قال لهم «صلاح» على الفور وهو يتحسس سلاحه الميري المخبأ تحت الجاكت الخفيف الذي يرتديه:

- من يجده يقتله على الفور.. لن نترك مجالًا للخطأ.

فقال له «كرم» محذرًا:

- تأكَّدْ من أنه هو أولًا.

هز «صلاح» رأسه متفهمًا وافترقوا جميعًا باحثين عن ضالتهم.

* * *

كان «صلاح» كأي شخص يحترم نفسه، ويشاهد أفلام الرعب الأمريكية، يعلم جيدًا أنه سوف يأتيه من الخلف؛ فلو كان يمشي في اتجاه سوف يأتي من ورائه، ولو مشى في الاتجاه المضاد سوف يأتي من ورائه أيضًا.. من أجل ذلك كان يمشي في هذه المنطقة وارفة الأشجار يتلفَّت خلفه باستمرار..

الجو هادئ والإضاءة خافتة والشهر العربي في بدايته، فلا يساعدك القمر على الرؤية، كانت دقات قلبه ترتفع، هو ضابط شرطة تعامل مع الكثير من المجرمين، لكنه لم يقترب من سفاح بهذه الشخصية من قبل، وبمساعدة طفل ممسوس، أو على أقل تقدير مجنون، وعنده قدرات خاصة، كان يمشي على غير هُدى، لا يعرف لماذا قاده حدسه إلى هذا الاتجاه بالذات، بمجرد أن يراه سوف يأسره أو يقتله ويحصل على المجد كله

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

بمفرده، سوف يعود بجثة السفاح إلى مديرية الأمن كأبطال الأساطير الذين يعودون بجلود الحيوانات الأسطورية ورؤوس التنانين إلى قراهم..

كان متوترًا.. متحمسًا.. متأهبًا.. عندما رآه، لم يكن قد رآه من قبل، لكنه عرفه بمجرد رؤيته، إنه هو، لا يمكن ألَّا يكون هو، لم يجسر على مهاجمته، على الرغم من أنه كان يسير بتؤدة وهدوء، اختبأ خلف شجرة كانت كأنها وُضعت خصيصًا من أجل أن يختبئ خلفها، أخرج هاتفه واتصل بـ«كرم»، تمنى ألا يسمع صوت السيدة التي تخبره دومًا أن الهواتف ذهبت في مصيبة ما، وحمد الله أنه لم يسمعه، بل رد «كرم» على الفور كأنه كان ينتظره:

- هل وجدته؟

رد «صلاح» بصوت مرتجف:

- نعم.. نعم.. إنه أمامي.

ووصف له بسرعة مكانه هامسًا قبل أن يغلق الهاتف ويختلس إليه نظرة جديدة.. لن يكون غريبًا إذا قلنا إنه لم يجده..

لن يكون غريبًا إذا قلنا إنه الآن يقف أمامه و«صلاح» ينظر إليه فاغرًا فاه بذعر شديد.. أي سفاح يجب أن يكون عنده ذلك الحس الدرامي، وإلا فلن يختلف كثيرًا عن لص الحافلات العامة الذي يتم الإمساك به وضربه في النهاية..

أمسك «صلاح» بمسدسه وصوَّبه نحوه، لكنه لا يعرف متى أمسك بيده واعتصرها ليقع المسدس على الأرض، بعد ذلك سمع ذلك الصوت العميق الهادئ يقول له:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- كل شيء خلقناه بقدر.. فعال لما يريد.. يقف ويرعى بقدرة الرب.

يرتفع جسده في الهواء، يشعر بالاختناق.. أين أنت يا «كرم»؟ لماذا تأخرت؟

* * *

كان «كرم» يعدو إلى الموقع الذي وصفه له «صلاح» بعد أن كلَّم «سعد».. الجميع الآن في طريقهم إلى «صلاح»، عليه فقط أن يصمد بعض الوقت.

عندما وصل «كرم» إلى الموضع الذي اعتقد أنه هو الذي أخبره به «صلاح» لم يجد أي شيء، كان «مازن» يجري خلفه فوجده يشير إلى منطقة وارفة وهو يصرخ بحماسة:

- إنه هنا.

انطلق «كرم» إلى حيث أشار «مازن» ليجد نائب القدر قد رفع «صلاح» عاليًا وذلك الأخير يحاول ركله بلا أمل في نجاحه في ذلك، أخرج «كرم» مسدسه وصوَّبه نحوه، لكنه كان يخشى أن يصيب «صلاح» فصرخ في السفاح:

- أنزله وإلَّا أطلقت عليك الرصاص.

لم يبالِ السفاح بالتهديد، وفجأة وجد «كرم» جسد «صلاح» يطير في الهواء ليسقط على الأرض مضرجًا بالدماء، نظر «كرم» إلى الجسد الذي ما زالت فيه الروح، لكن لو لم يتم إنقاذه فلن يظل على قيد الحياة طويلًا..

توجه القاتل نحو «كرم» بهدوء وهو يسأله:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- هل تعتقد أن هذه الألعاب سوف تحميك مني؟

رجع «كرم» إلى الوراء بضع خطوات مذعورًا، لكنه وجَّه المسدس إليه كيفما استطاع وضغط على الزناد..

لم يسمع صوت الطلقة، بل سمع صوت التكة المميَّز لخزينة الرصاص الفارغة، ضغط مرة أخرى وثالثة ليسمع الصوت نفسه، لماذا خزينة رصاص مسدسه فارغة؟!

ضحكات القاتل يسمعها مدوية قبل أن يقول له بهدوئه المدمِّر للأعصاب:

- بالإضافة إلى أن «مازن» قد أفرغ خزينة مسدسك من الرصاص.

سقط المسدس من يد «كرم» واتسعت عيناه في رعب ودهشة وحزن، «مازن» يتحرك بثقة ليقف بهدوء بجانب «شريف».. يبتسم في ثقة وهدوء.. يبتسم في انتصار..

سقط «كرم» على ركبتيه.. ترقرقت الدموع في عينيه.. على الرغم من كل شيء لم يكن يريد أن يخونه «مازن».. نظر إلى «مازن» ولم يستطِع أن يمنع دموعه من النزول.

* * *

لقد تركوني معك في الظلام.. وحدي معك في الظلام.. كنت في البداية أخشاك.. كنت أصرخ إليهم حتى يخرجوني من عندك.. لكنك صرت الآن أفضل صديق لي.. وقد دفعت ثمنًا غاليًا لهذه الصداقة.. كذلك دفع الجميع.. هل أنت معي يا «شريف»؟

* * *

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

كان اللواء «نصر» في مكتبه – الذي لم يبرحه منذ أن اختفى «مازن» والضباط – يجاهد النوم، لكنه بالطبع لم يستطِع أن يتحمَّل وهو لا ينام إلَّا بضع ساعات على أريكة في مكتبه، وضع رأسه على سطح المكتب لتوقظه دفعة الباب التي قام بها أحد الضباط وهو يدخل مسرعًا ويقول له بحماسة:

- لقد وجدناهم يا باشا، وجدنا الطفل و«كرم» ومَن معهم.

أحسَّ «نصر» كأنه حصل على حمام بارد وعاد إليه كامل وعيه فسأل الضابط بلهفة:

- أين هم؟ وماذا يفعلون؟

جلس الضابط على الكرسي أمام المكتب وهو يقول له بفخر:

- لقد ذهبوا بالطفل إلى «الإسكندرية»، المفاجأة الأخرى أن اللواء «فتحي» معهم.

نظر إليه «نصر» لثوانٍ بعدم فهم وكأنه لا يعي ما يسمعه قبل أن يقول بشرود وكأنه يتحدث إلى نفسه:

- وماذا يفعل «فتحي» معهم؟!

ثم عاد ليسأل الضابط بغضب:

- هل عرفتم مكانهم بالضبط في «الإسكندرية»؟

تردد الضابط قليلًا قبل أن يجيب:

- بصراحة يا سيدي...

قاطعه «نصر» بغضب قائلًا:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- بالتأكيد ذهبوا إلى شقة «فتحي» هناك.. سوف أتصل بمدير أمن «الإسكندرية» وأشرح له الموقف، يجب أن ننهي هذا الموقف الليلة.

ولم يكن يعلم أن الموقف سوف ينتهي قبل أن يحاول أحدٌ إنهاءه.

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

وداعًا «كرم»

ظللت تخشاه وتكره مقابلته تلك المدة كلها، وعندما أحببته وأشفقت عليه خانك.. اتضح أنه كان يلعب بك ويخدعك، أنت ميِّت على كل حال، لو لم يقتلك نائب القدر سيقتلك الورم، لكن إحساس الخيانة له مذاق مرير لا يمكن أن تتخلص منه، ربما الموت هو فقط ما يجعلك لا تشعر، فلتُنهِ مهمتك سريعًا أيها القاتل.. أنت بالفعل لا تقوم بأكثر مما هو مكتوب علينا، سأموت الآن، سأموت وقد استدرجني طفلٌ صغير إلى هذا الوضع، سأموت لأنني ساذج غبي، أرجو فقط ألَّا يعلم أحد بعد موتي أن الطفل المخبول هو مَن خدعني، أظن أن الموتى لا يشعرون بالحرج، لكني لا أريد أن أصبح مادة خصبة للسخرية حتى بعد موتي..

كانت الأفكار تتداعى على ذهن «كرم» في اللحظات التي كان نائب القدر يقترب فيها منه.. لم يكن ينوي أن يقاومه كثيرًا.. ما فعله «مازن» به جعل كل ما يريده البكاء قبل الموت.. وقف نائب القدر أمامه وقال له بصوته الرخيم الهادئ:

- كل شيء خلقناه بقدر.. فعال لما يريد.. يقف ويرعى بقدرة الرب.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ضيَّق «كرم» عينيه وكوَّر قبضته ليدافع عن نفسه للمرة الأخيرة.. عندما سمع تلك الصرخة.

في البداية تخيَّل أن تلك الصرخة خارجة منه، لكن هذا ليس صوته، والقاتل الملقى على الأرض يتلوَّى يؤكد أن الصرخة صرخته، وهذا الشيء الصغير الجاثم فوق كتفيه ممسكًا برأسه ما هو إلا «مازن»..

وقف «كرم» فجأة في حماسة وكأنه يشاهد مباراة مصارعة، لم يخطر بذهنه أن يشترك في هذا الصراع، بعد كل ما حدث له صار يكتفي بمقاعد المشاهدين.. كان «شريف» يصرخ – وهو ملقى على الأرض ويحاول التخلص من «مازن» الذي نشب أظفاره في شعر رأسه – ويقول له بغضب:

- ماذا تفعل أيها الملعون؟

رد عليه «مازن» بغيظ:

- أنت من جعلتني ملعونًا.. الآن سوف تدفع الثمن.

لم يكن «شريف» يقوى على القيام، فقط يتحرك وهو على الأرض كالثور المذبوح.. لحظات على هذا الوضع قبل أن يرتفع صراخ «شريف» ويرى «كرم» ذلك المشهد الذي أصابه شخصيًّا بالرعب..

الدماء تخرج من أنف «شريف» وأذنيه وعينيه.. شقوق تظهر في جسده ليخرج منها الدماء.. يمكنه أن يقسم إنه رأى تلك الظلال تخرج مع الدماء..

وفجأة سكت كل شيء، فقط صوت أنين «شريف» الخافت.. قبل أن يردد بصوت هزيل كالمجاذيب:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- أنا نائب القدر.. أنا نائب القدر.

كان «سعد» و«فتحي» قد وصلا أخيرًا يلهثان؛ للياقتهما المنخفضة، لم يفهما ما الذي حدث، لكنهما جريا على «صلاح» الذي كان ينزف، لكنه على قيد الحياة..

توجَّه «مازن» بهدوء نحو «كرم» فأمسك بمسدسه الذي كان قد ألقاه على الأرض فأخرج الرصاصات من جيبه ووضعها في الخزينة ثم ناول المسدس لـ«كرم» وهو يقول له بهدوء:

- يجب أن تقوم بتنفيذ ما وعدتني به حتى أنفِّذ ما وعدتك.

أخذ «كرم» المسدس منه وقام واقفًا، كان «سعد» قد اقترب من «كرم» ليسأله عن الذي حدث فوجده يوجِّه مسدسه نحو الرجل الملقى على الأرض فسأله بدهشة:

- ماذا ستفعل يا «كرم»؟

أجابه «كرم» بصوت مرتعش وهو يبكي والمسدس يهتز في يده:

- إنه نائب القدر.

علم «سعد» بما ينوي «كرم» فعله فقال له على الفور:

- لا يمكنك أن تقتله، إنه غير مسلح ولم يعُد خطيرًا.

فقال «مازن» بصرامة:

- الصفقة يا «كرم».

فرد «سعد» بجزع:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لا تستمع إليه يا «كرم».. لا تستمع إليه.

فعاد «مازن» يقول:

- هو قاتل على كل حال.. هو من دمَّر حياتي.. تذكَّر ولديك يا «كرم».. أنت ما زلت تحتاج إلى المزيد من الوقت في هذه الحياة.

فقال «سعد» وهو يقترب ببطء من «كرم»:

- لا تفعل هذا يا «كرم».

خفض «كرم» المسدس للحظات وهو يفكر.. هل يقتله من أجل صفقة حياة مع «مازن»؟!

* * *

- لا أدري ما الذي يجب أن أفعله بك؟!

قالها «نصر» لـ«كرم» الجالس على الكرسي أمامه في مكتبه.. كان «كرم» لا يرد.. فقط يجلس وهو مطرق ببصره إلى الأرض في شرود، بينما استطرد «نصر»:

- نحمد الله أن «صلاح» لم يمُت وحالته مستقرة، لكن لماذا قتلت «شريف»؟

زفر «كرم» في ضيق ولم يرد، فاستطرد «نصر» بصبر نافد:

- «سعد» يقول إنه هو القاتل المدعو نائب القدر، لكننا سنواجه الكثير من المشاكل حتى نُثبت ذلك.

ردَّ عليه «كرم» بفتور:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لا تستمع إليه يا «كرم».. لا تستمع إليه.

فعاد «مازن» يقول:

- هو قاتل على كل حال.. هو من دمَّر حياتي.. تذكَّر ولديك يا «كرم».. أنت ما زلت تحتاج إلى المزيد من الوقت في هذه الحياة.

فقال «سعد» وهو يقترب ببطء من «كرم»:

- لا تفعل هذا يا «كرم».

خفض «كرم» المسدس للحظات وهو يفكر.. هل يقتله من أجل صفقة حياة مع «مازن»؟!

* * *

- لا أدري ما الذي يجب أن أفعله بك؟!

قالها «نصر» لـ«كرم» الجالس على الكرسي أمامه في مكتبه.. كان «كرم» لا يرد.. فقط يجلس وهو مطرق ببصره إلى الأرض في شرود، بينما استطرد «نصر»:

- نحمد الله أن «صلاح» لم يمُت وحالته مستقرة، لكن لماذا قتلت «شريف»؟

زفر «كرم» في ضيق ولم يرد، فاستطرد «نصر» بصبر نافد:

- «سعد» يقول إنه هو القاتل المدعو نائب القدر، لكننا سنواجه الكثير من المشاكل حتى نُثبت ذلك.

ردَّ عليه «كرم» بفتور:

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- لقد رآه أكثر من شخص.. يمكننا الاستعانة بشهادتهم.

زفر «نصر» في ضيق وهو يقول:

- المشكلة ليست في ذلك، المشكلة أنك لا تعرف مَن هي والدته.. والدته سوف تقلب الدنيا علينا.. يمكنها بسهولة أن تثبت أن «شريف» كان مضطربًا نفسيًّا.

لم يكترث «كرم» كثيرًا للهجة الوعيد، فقد عرف أن والدته هي تلك الممثلة نصف المشهورة.. ربما تقلب الإعلام وتدَّعي أي شيء.. لكنه لا يهتم لأي شيء.. المهم أنه انتهى من تلك القضية.

أشاح «نصر» بوجهه وهو يقول له ممتعضًا:

- المهم أنك أنت و«سعد» في عطلة مفتوحة حتى تتم تسوية ذلك الأمر.

فهز «كرم» رأسه وترك المكتب، حيث كان «سعد» ينتظره على كرسي بالخارج.. اقترب منه ونظر إليه بخجل قبل أن يقول له وهو يجلس بجانبه:

- أشكرك يا «سعد».

زفر «سعد» في ضيق قبل أن يقول له بحزن:

- تشكرني لأنني خالفت ضميري من أجلك!

فرد عليه «كرم» بحزن:

- لو لم تشهد بأنه كان خطرًا عندما أطلقت عليه الرصاص لكان موقفي قد أصبح شديد السوء.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ابتسم «سعد» ابتسامة ألم قبل أن يقول له:

- بالطبع أخبرك أننا في إجازة حتى تتم تسوية الأمر!

فهز «كرم» رأسه، فعاد «سعد» يقول له بحسرة:

- لم أستطِع قول الحقيقة.. فشلت في أول اختبار حقيقي، كل شيء من السهل أن ندَّعي أننا نستطيعه، كل القيم التي تربينا عليها تتهدم أمام الاختبارات الحقيقية.. نحن الخاسرون الحقيقيون في هذه القضية يا «كرم».. نحن الخاسرون.

لم يكن «كرم» يريد أن يبكي أمام زملائه؛ لذلك ابتعد ليختفي بعض الوقت في غرفة مكتبه قبل أن يتركها في إجازته التي ربما ستطول.

* * *

نظر الطبيب بحيرةٍ إلى التقارير الطبية، للمرة العاشرة ينظر فيها ويقارنها بالأرقام التي كتبها في الملف الخاص بـ«كرم»، والتي كانت من التقارير السابقة، في النهاية وضع كل الأوراق على المكتب وقال لـ«كرم» بتردُّد:

- لا أدري يا أستاذ «كرم» ماذا أقول، هذه الأشياء لا تختفي هكذا، لكن ربما كان هناك خطأ في التحاليل السابقة، أتمنى ألا يكون الخطأ في الحالية، الأشعة والتحاليل تشير إلى أنك غير مصاب بأي أورام خبيثة أو حميدة.. سوف أعطيك عنوان معمل خاص بطبيب صديقي وسوف أخبره أنه حدث معك خطأ في التقارير في أكثر من معمل، يجب أن نتأكَّد من النتائج هذه المرة، الأمر كأنك المرة السابقة قد جئتني بتقارير شخص آخر.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ابتسم «كرم» في رضا ولم يعقِّب على كلامه.. كان ينوي أن يذهب ليتأكَّد في ذلك المعمل.. للمرة الأخيرة.

* * *

لم تعرف «نسمة» أي تفاصيل، لم يخبرها «كرم» أو والدها بأي شيء، لكنها بالطبع كانت متأكدة من أن هناك شيئًا ما قد حدث، خاصة أن «كرم» صار ملازمًا للبيت من دون تذمُّره المعتاد من المكوث بالمنزل، وهذه المرة مكوثه بالمنزل طال، وعندما تسأله يخبرها أنه في إجازة مكافأة له، كان معظم الوقت يجلس في شرود وأحيانًا يبتسم مع نفسه وتتحوَّل تلك الابتسامة إلى ضحكة عالية يعقبها صمت وتجهُّم مفاجئ.. كانت تلك الأعراض كارثية بالنسبة لـ«نسمة»؛ فهي تعني أنه يحب عليها امرأة أخرى..

كان الطفلان في المدرسة عندما قررت «نسمة» أن تجعله يعترف بطريقتها، وهي الإلحاح الشديد والمستمر.. جلست إلى جواره على الفراش الذي لم يكن يتركه كثيرًا فوضعت يدها على كتفه بحنان ونظرت إليه في هيام قبل أن تقول له بشغف:

- كيف حالك يا حبيبي؟

نظر إليها «كرم» بشكٍّ قبل أن يبتسم ويقول لها بهدوء:

- لا تخافي يا «نسمة»، لا توجد امرأة أخرى، لقد أخبرتك أكثر من مرة أنها مشاكل العمل.

شعرت «نسمة» بالإهانة؛ لأن سحرها الخاص لم يؤثر فيه وكانت ستجادله، لولا رنين هاتفه الذي أنقذه، لم يكن ينوي الرد على الهاتف، لكنه ادعى أنه منشغل بالهاتف حتى يتخلص من «نسمة» التي ظلت تنتظر لترى

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ماذا سيفعل، «حاتم» عم «مازن» كان هو المتصل، تردد «كرم» قليلًا قبل أن يفتح الخط دون أن ينطق كلمة واحدة ليسمع صوت «حاتم» المتهدج يقول له متسائلًا:

- «كرم»! هل تسمعني يا أستاذ «كرم»؟

أجابه «كرم» بخوف:

- نعم يا أستاذ «حاتم».

عاد «حاتم» يقول له:

- «مازن» يريد مقابلتك.

لم يرد «كرم».. كان يخشى ذلك.. ظل الصمت سيد الموقف حتى عاد «حاتم» يقول له باستجداء:

- أرجوك يا «كرم».. «مازن» مريض بشدة.. أرجوك.

زفر «كرم» بضيق وهو يقول له باستسلام:

- حسنًا، سوف آتي إلى المصحة بعد قليل.

سمع «كرم» صوتًا خُيل إليه أنه بكاء قبل أن يقول له «حاتم» بصوت متقطع:

- لكنه ليس في المصحة، إنه في المستشفى الدولي.

لم يرد «كرم»، الذي لم يفهم ما الذي يقصده «حاتم»، الذي استطرد وصوت نشيجه يطغى على صوته:

- إنه في قسم الأورام.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

فاتسعت عينا «كرم» وقد فهم الآن ما فعله «مازن».

* * *

جميع المستشفيات مُقبضة، تفوح منها رائحة المرض والموت، حتى لو كان المستشفى الدولي الذي تُكلف الليلة فيه آلاف الجنيهات.. الجلوس على الرصيف بصحة جيدة أفضل بكثير..

هذا ما شعر به «كرم» فور دخوله المستشفى ليتحرك مباشرة نحو قسم الأورام؛ حيث كان ينتظره «حاتم»، وقد ساءت حالته أكثر من آخر مرة رآه فيها.. اقترب «كرم» منه وسلَّم عليه وهو يسأله:

- كيف حال زوجتك يا أستاذ «حاتم»؟

أجابه «حاتم» بحزن:

- هي بخير.. «مازن» مريض بشدة.

عاد «كرم» يسأله بقلق:

- ما الذي أصابه؟

رد عليه «حاتم» والدموع تنهمر من عينيه:

- مُصاب بورم في المخ.. يقولون إن حالته متأخرة جدًّا، طلبت منهم أن ننقله للعلاج بالخارج لكنهم قالوا إن ذلك لن يُحدث فارقًا كبيرًا.

ابتلع «كرم» ريقه وكتم دموعه وهو يقول له:

- ربنا قادر على كل شيء.

مسح «حاتم» دموعه وهو يقول له:

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

- إنه يريد رؤيتك.

أشار «حاتم» إلى غرفة «مازن» فتوجَّه «كرم» إليها، أمسك بمقبض الباب وبكى، فتح الباب ليجده ملقى على الفراش في سكون، شاحب الوجه والخراطيم الموصلة بيده تُعطي للمنظر المزيد من الكآبة.

فتح «مازن» عينيه ونظر نحو «كرم» وابتسم، لم يقوَ على الاعتدال في جلسته، فقط ابتسم قبل أن يقول لـ«كرم» بصوت واهن ضعيف:

- هل يجب أن أطلبك حتى تجيء لزيارتي؟

ابتسم «كرم» ابتسامة باهتة وهو يقول له مداعبًا:

- أنا أحب أن ألتزم بالأوامر.

اتسعت ابتسامة «مازن» وهو يقول له بالوهن نفسه:

- لن يكون هناك المزيد من الأوامر أو الزيارات الليلية.. لقد انتهى كل شيء، من الخير أني سأموت لينتهي كل شيء.

كان «كرم» يريد أن يقول له تلك الكلمات التي لا تغير أي شيء من عينة: لا تقُل هذا الكلام.. سوف تكون بخير.. سوف تُشفى... تلك الكلمات التي ربما لا تواسي المريض، بل تزيد حالته سوءًا، لكنه لحسن الحظ آثر الصمت، بينما استطرد «مازن» بحماس مفاجئ:

- كلما تذكرت منظرك وأنت تعتقد أنني خدعتك من أجل «شريف» أضحك عليك بشدة.. منذ أن رأيتك أول مرة وأنا أحب أن ألعب معك.. هل تتذكر أول مرة رأيتك فيها؟ هل تتذكر أول مرة قلت لك إن اسمك جميل؟ لا أعرف لماذا كان الرعب يصيبك بتلك الطريقة؟! لكني كنت أحب ذلك.

Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ثم سأله بجدية مفاجئة:

- لماذا خالفت القانون وقتلت «شريف»؟

نظر إليه «كرم» بتحفُّز، فعاد «مازن» يقول له مبتسمًا:

- لا تأخذ الأمر على محمل الجد هكذا، أنا فقط أريدك أن تلتمس الأعذار بعد ذلك، أنا كنت سآخذ مرضك على كل حال، كنت فقط أريدك أن تعلم أن على الإنسان أن يضعف في بعض الأحيان.

أمسك «مازن» بيد «كرم» وهو يضيف:

- كنت أتمنى أن تكون والدي يا «كرم».. كنت أريد فقط أن أكون طفلًا من الذين يلعبون بتلك الأشياء التافهة.

ازداد انهمار دموع «كرم»، بينما أضاف «مازن»:

- أنا الآن في نهاية الطريق، كنت فقط أريد أن أراك قبل الرحيل، كنت فقط أريدك أن تتذكرني، سوف يعرف عمي قريبًا أن زوجته حامل، لم أكن أقصد إيذاءها، الحمد لله أنها بخير، يجب أن أرحل حتى يرحل ذلك الشيء معي، «شريف» كان ضحيةً بطريقة ما، ربما لو كان عندي المزيد من الوقت لكنت أخبرتك بالمزيد عنه، لكن ذلك لا يفيد الآن، أخبر عمي أن يسمي ابنه «مازن».. «كرم»!

رد عليه «كرم» وهو يبكي بشدة:

- نعم يا «مازن»؟

أجابه «مازن» وهو يضحك:

- اسمك جميل.

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

ابتسم «كرم» هذه المرة.. ربما كانت هذه هي المرة الوحيدة التي لم ترعبه فيها تلك الجملة.

إلى اللقاء والجزء الثالث

قاتل من عالم آخر

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

أعمال الكاتب

- الحشاش (رواية)
- استجواب (رواية)
- التشريفة (مجموعة قصصية)
- رقصة الشيخ (رواية)
- هي (رواية)
- حالة توحد (رواية من 3 أجزاء ج1)
- نائب القدر (رواية من 3 أجزاء ج2)
- قاتل من عالم آخر (رواية من 3 أجزاء ج3)
- حتى تتذكر الأسماك (رواية)

صفحة الكاتب على الفيس: أدبيات - محمود أمين

https://www.facebook.com/adabiat.mahmoud

صفحة دار بصمة على الفيس: دار بصمة للنشر والتوزيع

https://www.facebook.com/darbasma

مكتبتك
Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk

www.Mktbtk.uk